

صلاة الخاشعين

ولأول مرة الدعاء الخاص
لفضيحة الشيخ
محمد متولي الشعراوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

ليس هناك أجمل من لحظات يقف فيها العبد بين يدي ربه ومولاه، وليس في العمر أسعد من قيام وسجود للخالق العظيم في صلاة عرّفنا بها الله كيف نعبد.

على الإنسان العابد أن يستشعر معاني كثيرة، وهو واقف بين يدي خالقه، يناجيه، ويُقرُّ له بعجزه وتقصيره، تائباً نائباً إليه سبحانه، رافعاً أكف الضراعة بطلب الغفران، عسى أن يتقبّله الله في عباده الصالحين.

يقف العبد الخاشع أمام ربه حافي القدمين، صاقاً كعبه إلى بعضهما، مُطمئن الجوارح، قد سكنت وذلت وخضعت للديان، قد أعطى للدنيا ظهره.

وهو ما بين الركوع والسجود يحني جبهته وُضْله

إلى الله، معفراً جبهته بالتراب الذي منه خُلق، واضعاً أنفه على الأرض أمام سيّده، أنفه تلك - رمز العزة والأنفة والكرامة - قد أدّلّها العبد لله.

وإذا كان الله عز وجل قد مدح الخاشعين في صلاتهم في كتابه العزيز، فقال سبحانه:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾
[المؤمنون: ١، ٢].

فذلك لأنهم يستشعرون ويعيشون في كل لحظة من لحظات صلاتهم معنى الوقوف بين يدي الله، معنى الركوع لجلاله، والسجود لعظمته، تمتلئ جوانحهم بأحاسيس الإيمان والإسلام والإذعان لله، يستشعرون نعمة هداية الله لهم للإيمان فيحمدونه عز وجل أن هداهم له، ووقفهم ليكونوا عبيداً له سبحانه.

يستشعرون في صلاتهم معنى الطهارة والنقاء، معنى الخضوع والإخبات، يدركون حق الإدراك أنهم في مُهلة قبل أن يفاجئهم الموت بقوته عليهم وسطوته على أعمارهم، فلا يستطيعوا أن يقفوا هذه الوقفة بين يدي ربهم مرة أخرى، فيُصلُّون صلاة مودّع.

يصلون صلاة مَنْ يُودّع الدنيا بزخارفها ونعيمها،

بطعامها وشرابها، بنومها وراحتها بجاهها وسلطانها، يُودّع كل ما كان له فيها من مال وأولاد ومركز ومَنْصِب .

وإذا به يقف وحيداً فريداً أمام خالقه، إلا من قلب مطمئن بالإيمان، وعمل صالح قد سبق منه، وخوف من اللحظة التي ستنتهي فيها الصلاة، فينتقل بها لحياة أخرى، لا يعرف ما الله فاعل به فيها .

لذلك فأهمُّ أمرٍ يجب أن يتحقق في صلاة العبد هو أن يجمع شتات نفسه، وأن يُحضِر قلبه في صلاته، فلا تشغله الشواغل حوله، ولا يسرح بخاطره في شؤون دنياه وحياته، ليس لئلا تبطل أو يقلّ ثوابه في صلاته، بل حتى لا يكون مُسيئاً إلى ربّه وخالقه بالالتفات إلى غيره وهو بين يديه .

وأخيراً نسأل الله تعالى أن يكون ما قدمناه من جهد في خدمة الدين خالصاً لوجهه الكريم .

الناشر



^

^

العبودية ومَعِيَّةُ اللَّهِ

العبودية هي أَرْقى مراتب القُرْب من اللَّهِ تعالى ؛ لأنك تأتي إلى اللَّهِ طائعاً، مُنفِذاً للمنهج باختيارك .

ولقد عُرِضَ على رسول اللَّهِ ﷺ أن يكون مَلَكاً رسولاً، أو عبداً رسولاً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً .

فمصدر الشرف للإنسان أن يُحَسَّ ويشعر بتجلِّي اللَّهِ عليه بعبوديته له ؛ لأن « العبودية » عطاء عُلُويٍّ من اللَّهِ .

والإيمان كله عزة، والناس تكره كلمة « عبودية » ؛ لأن عبودية البشر للبشر فيها ذِلَّةٌ، وفيها أن السيد يأخذ خير عبده .

أما العبودية لِلَّهِ فنجد أن العبد يأخذ خَيْرَ سيده ؛ ولذلك نجد اللَّهُ سبحانه وتعالى قد امتنَّ على نبيه بصفة العبودية، فقال :

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ ۖ . . . ﴾ [الإسراء: ١] .

فقد أخلص ﷺ العبودية لله، فأخذ من فيوضات الحق بما يناسب عبوديته.

والحق سبحانه يوضح لكل عبد:

نَمْ مِلْءَ جَفْنِيكَ، فَأَنَا لَا تَأْخُذْنِي سِنَةٌ ^(١) وَلَا نَوْمٌ، وَأَنَا قِيَوْمٌ ^(٢)، وَإِنْ احْتَجْتَ مِنِّي إِلَى شَيْءٍ مَا، فَادْعُنِي، وَسَأْمُدُّ لَكَ يَدَ الْعَوْنِ بِمَا يَنَاسِبُكَ.

فهل في هذه العبودية لله شيء غير العزة؟

إنك إن كَبَّرْتَ الحق سبحانه وتعالى أعزَّزْتَ نفسك، فسجودك وعبوديتك لواحد عافاك من أن تسجد لألوف الأقوياء في الأرض.

واعلم أنك إن التجأت إليه سبحانه، وكنت في معيته، كنت أكبر من غيرك، ولا يستطيع أحد أن ينالك بسوء؛ لأنك في مَعِيَّةِ اللَّهِ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ فَلَا يَحْزَنُ. ولكن الذي يَشْرُدُ من معية الله هو الذي يتعب.

(١) السنة: النعاس من غير نوم. والسنة: نعاس يبدأ في الرأس، فإذا صار إلى القلب فهو نوم. [لسان العرب - مادة: وسن].

(٢) القيوم والقيام في صفة الله تعالى وأسماء الله الحسنى: القائم بتدبير أمر خلقه في إنشائهم ورزقهم وعلمه بأمكنتهم، قال قتادة: القيوم القائم على خلقه بآجالهم وأعمالهم وأرزاقهم. [اللسان].

فالحق سبحانه يريد مِنَّا أن نخلص النية في الالتحام بمعية الله تعالى، لِيُضْفِي علينا ربنا سبحانه من صفات جلاله وصفات جماله.

وانظروا إلى سيدنا رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه في الغار.

يقول الحق سبحانه:

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ، لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا...﴾ [التوبة: ٤٠].

أي: أن رسول الله ﷺ ينهى صاحبه عن الحزن بعلّة معيّة الله سبحانه وتعالى، ولا بُدَّ أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قد قال كلاماً يفيد الحزن؛ لأن الحزن لم يأت له من تلقاء نفسه، بل من قانون كونيّ، حين قال لرسول الله ﷺ: «لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا».

لكن رسول الله ﷺ لا يتكلم عن القانون الكوني، لكنه يتكلم عن طلاقة قدرة المكوّن سبحانه، فقال:

«ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(١).

فمعيّة الله أضفت عليهما شيئاً من جلاله وجماله، والله

(١) حديث متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه (٤٦٦٣)، وكذا مسلم في صحيحه (٢٣٨١) من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

سبحانه لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار.

والحق سبحانه يطلب منك أن تواجه الحياة في معية الله، فأنت لو واجهت المشكلات في معية مَنْ تثق في قوته تواجه الأمور بشجاعة، فما بالك إذا كنت في معية الله، وكل شيء في الوجود خاضع لله، أيجرؤ شيء أن يقف أمامك وأنت مع الله؟

الله تعالى يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وما دام الله مع الصابرين فلا بُدَّ أن نعشق الصبر.

وكيف لا نعشق ما يجعل الله معنا؟

والعبادة كلها طاعة تتمثل في تطبيق ما جاء به المنهج من «افعل» و «لا تفعل»، وقد يتدخل المنهج في حريتك قليلاً، وأنت بقوة الإيمان تعتبر أن هذا التدخل في هذه الحرية نعمة يجب أن تحمد الله عليها؛ لأنه لو تركك على هواك، فستفشل.

إذن: الأوامر والنواهي هنا نعمة، يجب أن نحمد ربنا عليها، وكل ما يُجرّيه الله على العبد المؤمن يجب أن يأخذه العبد على أساس أنه نعمة.

فحين تعرف أن العبادة أوصلتك إلى أمر ثقيل على

نفسك، فاعرف أن هذا لمصلحتك، وعليك أن تحمد الله عليه، وبذلك يدخل المؤمن في زمرة الحامدين .
وأنت حين تؤمن بالله، يصبح الله في بالك، فلا يشغلك شيء عنه سبحانه .

فالعبد خضوع لله سبحانه وتعالى بمنهجه « افعل » و« لا تفعل »، ولذلك جعل الصلاة أساس العبادة، والسجود هو منتهى الخضوع لله؛ لأنك تأتي بوجهك الذي هو أكرم شيء فيك وتضعه على الأرض عند موضع القدم .

فيكون هذا هو منتهى الخضوع لله، ويتم هذا أمام الناس جميعاً في الصلاة؛ لإعلان خضوعك لله أمام البشر جميعاً .

الصلاة هي إدامة ولاء العبودية للحق تبارك وتعالى، وهي أيضاً استحضار العبد وقفته بين يدي ربه .

فالله سبحانه يريد منّا الولاء دائماً، فإذا كنت تعتز بالله فأنت تديم الولاء له باستمرار الصلاة، وأنت حين تسجد لله وتتذلل له، فإنه سبحانه يزيدك عزة ويكون معك دائماً، ويقيك ذل الدنيا .



الصلاة لجوء إلى الله إذا ضاقت الأسباب

فالوقوف في الصلاة أمام الحق سبحانه يُعطي الإنسان القوة؛ لتحمل الأمر الثقيل، فما دام هناك ثقل فلا بُدَّ أن تزيد الطاعة.

ولذلك كان الرسول ﷺ «كلما حزبه»^(١) أمر فزع إلى الصلاة»^(٢).

لأن حَزْبَ الأمر معناه أن أسبابه ضاقت عنه، وحين تضيق الأسباب لا بُدَّ من اللجوء إلى المسبب.

فإذا ضاقت بك الأسباب، فلم تجد مَخْرَجاً ولا طريقاً إلا أن تلجأ إلى الله، فتوضأ وصل ركعتين غير الفريضة، ثم ادع بما شئت، فيفرج الله كَرْبَكَ.

(١) حزبه أمر: أصابه. أي: إذا نزل به مهم أو أصابه غم ونابه واشتد عليه. والأمر الحازب: الشديد. [اللسان].

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٨٨/٥)، وأبو داود في سننه (١٣١٩) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

والحق سبحانه يعطينا مثلاً من قصة زكريا عليه السلام،
حينما دعا رَبَّهُ فقال:

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

حينئذ:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ
بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾
[آل عمران: ٣٩].

لقد نادته الملائكة في أروع لقاءاته مع ربه، أو هو
حينما دعا ربه قد أخذ ما علّمه الله للأنبياء إذا حزبهم
أمر، قاموا إلى الصلاة.

إذن: فليقف بين يدي الله، وَلْيُجَرِّبَهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِّنَّا،
عندما يصعب عليه أيُّ شيء، وتتأزم الأمور، وتمتنع
الأسباب، فَلْيَقُمْ ويتوضأ وضوءاً جديداً، ويبدأ بالنية حتى
ولو كان متوضئاً، وليقف بين يدي الله، وليقل: إنه أمر
يا رب عزّ عليّ في أسبابك. وَلْيُصَلِّ بخشوع.

وأنا أجزم بأن الإنسان ما إن يُسَلِّم من هذه الصلاة، إلا
ويكون الفرج قد جاء.

أَلَمْ نَتَلَقَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هذا السلوك البديع؟

فقد كان كلما حزبه أمر قام إلى الصلاة .
فكان ﷺ إذا ضاقت به الأسباب، كان يذهب إلى الصلاة، لخالق الأسباب، إنها ذهاب إلى المسبب .
فبدلاً من أن تلف وتدور حول نفسك، اذهب إلى الله من أقصر الطرق وهو الصلاة .

لماذا تتعب نفسك أيها العبد، ولك رب حكيم؟
إن من له أب لا يحمل همّاً، والذي له رب ليس أولى بالاطمئنان؟

إن زكريا عليه السلام قد دعا الله في الأمر الذي حزبه، وبمجرد أن دعا، قام إلى الصلاة، ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي﴾ .

إن الملائكة لم تنتظر إلى أن ينتهي من صلاته .
﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا^(١) وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾
[آل عمران: ٣٩] .

ولذلك فإن رسول الله ﷺ يُعلِّمنا أنه إذا أتعبنا أمر وأرهقنا أن لا نقصر رؤيتنا على رأينا وحده، ولكن لنلجأ

(١) الحصور: الذي لا يأتي النساء . وقال ابن الأعرابي: هو الذي لا يشتهي النساء ولا يقربهن . [لسان العرب - مادة: حصر] .

إلى الله، فنهزم الأمر الذي يحزبنا ولا نقدر عليه، بأن نقيم مع الله حِزْباً بالصلاة.

إننا عندما نأخذ من سنة رسول الله المثل والقُدوة، نعرف أن رسول الله ﷺ لم يكن يحزبه أمر يتعلق بدنياه، وإنما أمر يتعلق بمنهج الله وبالدين.

لذلك يذهب رسول الله ﷺ إلى مَنْ يعطيه، ويعطي أهل الإيمان كل الطاقة، إنه يذهب إلى الصلاة، ويعلن أن أسبابه قد انتهت، ولم يَعُدْ يَقْوَى على تحمُّل هذا الأمر الذي حَزَبَهُ.

ولأن الحق سبحانه لا يغلبه شيء، فإنه تعالى يرفع الهمَّ عن رسوله ﷺ، ويغلب كل أمر صَعْب، وإن حَزَبَنَا هذا الأمر في نفوسنا فسنجد العجب.

إذن: فحين تَعَزُّ الأسباب على المؤمن في أمر ما، ويكون قد أعطى كل جهده، ولكن هذا الأمر ما زال يحزب المؤمن ويشتد عليه ويرهقه، فعلى المؤمن أن يقوم إلى الصلاة، فيُيسِّر الحق سبحانه هذا الأمر للمؤمن بالخير.

والمؤمن عندما يحزبه أمر ما إنما يذهب بالصلاة إلى المسبِّب وهو الله، ولكن على المسلم ألا يذهب إلى الله إلا بعد أن يستنفد كل الأسباب.

فالأَسباب إنما هي يد الله الممدودة، ولا يمكن للمؤمن أن يرفض يد الله .

فحين يقف المؤمن بين يدي الله ويصلي، يمتلئ بالرضا والتوازن النفسي .

إذن: فساعة يأتينا أمر شديد، لا بُدَّ أن نتجه إلى الله عز وجل، وأفضل مكان نلتجئ فيه إلى الله تعالى هو بيته .

فقد كان ﷺ إذا كانت ليلة ريح شديدة كان مفزعه إلى المسجد حتى تسكن الريح، وإذا حدث في السماء حدث من خسوف شمس أو قمر كان مفزعه إلى الصلاة حتى تنجلي^(١) .

وبعض من الذين يحترفون الجدل واللجاجة يقولون: ماذا سيفعل الله لي، أو لذلك الذي يُعاني من شيء فوق طاقته، لقد دخل المسجد وخرج كما هو؟

ونقول: هذا الظاهر من الأمر، ولكنك لا تعرف ماذا حدث في داخله، أنت تتحدث عن العالم المادي الذي فيه

(١) أورده الهيثمي في المجمع (٢/ ٢١١) وعزاه للطبراني في الكبير من رواية زياد بن صخر عن أبي الدرداء، ثم قال: «لم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات» .

العلاجات المادية، ولكن الله سبحانه وتعالى يعالج ما في داخل النفس دون أن تُحس أنت؛ لأن أنوار الله تدخل القلوب فتجعلها مطمئن وتدخل النفوس، فتجعلها تُحس بالرضا والأمن.

فأنت أيها الإنسان إذا أصابك أيُّ شيء من همٍّ أو كَرْبٍ أو ظروف معيشة، أو مرض ابنك، أو أصابك أيُّ شيء عليك أن تتوضأ وتتوجه إلى خالقك بالصلاة، والدعاء أن يكشف عنك هذا الأمر.

فهو سبحانه الأقدر على ذلك من أيِّ أحد، فهو خالقك وواضع قانون صيانتك، وهو الأقدر على إصلاح حالك.

والحق سبحانه يُصلحنا بالغيب، فلا تعرف ماذا فعل بك وأنت واقفٌ أمامه تصلي، لكنك تشعر بلا شك أن شيئاً فيك قد انصلح.

لذلك كان ﷺ يقول لبلال: «أرحنا بها يا بلال»^(١). ولم يقل كما يقول بعض الناس - والعياذ بالله - أرحنا منها.

ذلك أن هناك مَنْ يقول لك: إن الصلاة تكون على

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٦٤/٥)، وأبو داود في سننه (٤٩٨٥) عن رجل من أسلم. قاله أحمد واللفظ له.

كنتفي مثل الجبل وأرتاح .

نقول له : أنت ترتاح بها ، ولا ترتاح منها ؛ لأنك وقفتَ بين يدي الله ، وما دام الإنسان واقفاً أمام ربّه فكلُّ أمر شاق يصبح سهلاً .

يقول أحد العابدين : أنا لا أواجه الله بعبوديتي ، ولكن أواجهه بربوبيته فأرتاح ؛ لأنه ربي ورب العالمين .

ويقول أحد الصالحين في دعائه : اللهم إني أسألك ألا تكلني إلى نفسي ، فإني أخشى يا رب ألا تشبني على الطاعة ، لأنني أصبحتُ أشتهيها ، فسبحانك أمرتنا أن نحارب شهواتنا .

انظر إلى الطاعة من كثرة حُبِّ الله أصبحت مرغوبة مُحبة إلى النفس .

فالمؤمن يرتاح عندما يؤدّي الصلاة ، فهو عشق الطاعة بحيث لم يعد يجد فيها مشقة أو تكليفاً ، لذلك تجد المؤمن خائفاً ، وكأنه قد فهم أنه لا بُدَّ أن توجد مشقة .

ولمثل هذا الإنسان الصالح نقول :

لقد فقدت الإحساس بمشقة التكليف ؛ لأنك عشقته ، فألفت العبادة كما ألفتك وعشقتك ، وحدث الانجذاب بينك وبين الطاعة .

وهذا غير ما يقوله بعض مِمَّنْ يؤدون الصلاة الآن، حيث يقول الواحد منهم: هيا نُصلي لتزيحها من على ظهورنا. هؤلاء يؤدونها بالتكليف لا بالمحبة والعشق.

أما الذين أَلِفُوا الراحة بالصلاة حينما يحزبهم ويشتد عليهم أمر خارج عن نطاق أسبابهم.

يقول الواحد منهم: ما دامت الصلاة تُريح القلب، فلاذهب إليها وألقى ربي زائداً على أمر تكليفه لي متقرباً إليه بالنوافل.

إذن: فعشقت التكليف شيء يدل على أنك دُقْتَ حلاوة الطاعة، وقد يجوز أنه شاق عليك؛ لأنه يُخرجك أولاً عمّا أَلِفْتَ من الاعتياد.

فعندما يأتيك أمر فيه مشقة تقول: إن هذه المشقة إنما يريد الله بها لي حُسن الجزاء، فإذا ما عشقت الصلاة صارت حباً لك، فيُخفف الله عليك أمور التكليف، ويجعلك عاشقاً لها.

لأن التكليف ينتقل من المتعة إلى الراحة، ويتمتع الإنسان فيها بتجليات ربه وفيوضاته، فترتاح نفسه وتهداً.



هؤلاء هم المحسنون

يقول الحق سبحانه :

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(١)
[الذاريات: ١٥ - ١٨].

الإحسان أن تفعل شيئاً فوق ما افترضه الله، ولكن من جنس ما افترضه الله، والمحسن الذي يدخل في مقام الإحسان، هو من يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فهو سبحانه وتعالى يرى كل خلقه.

فالرؤية الإيمانية هي أن تؤمن كأنك ترى ما هو غيب أمامك، وتكون من هذه الرؤية أكثر يقيناً من رؤية

(١) الهجوع: النوم ليلاً. وقد يكون الهجوع من غير نوم. والتهجاع: النوم الخفيفة. والهجيع: الطائفة من الليل. [لسان العرب - مادة: هجع].

السَّحَر: آخر الليل قبيل الصبح. والجمع: أسحار. وقيل: هو من ثلث الليل الآخر إلى طلوع الفجر. وهو وقت يُرجى فيه إجابة الدعاء. [لسان العرب - مادة: سحر].

العين، لأنها رؤية إيمان ورؤية بصيرة .
 وقول رسول الله ﷺ حينما سأله جبريل عن الإحسان :
 « أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »^(١) .

هو بيان للرؤية الإيمانية في النفس المؤمنة، فالإنسان حين يؤمن، لا بد أن يأخذ كل قضاياها برؤية إيمانية، حتى إذا قرأ آية عن الجنة فكأنه يرى أهل الجنة وهم يُنعمون، وإذا قرأ آية عن أهل النار اقشعر بدنه، وكأنه يرى أهل النار وهم يُعذَّبون .

عن الحارث بن مالك الأنصاري أنه مر برسول الله ﷺ، فقال له: « كيف أصبحت يا حارث؟ » فقال: أصبحت مؤمناً حقاً .

قال: « انظر ما تقول، فإن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ » .

فقال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي،

(١) متفق عليه . أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠)، وكذا مسلم في صحيحه (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يعرف بحديث جبريل الطويل لأن رسول الله ﷺ قال في آخره: « هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

وأظلمات نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتراورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون^(١) فيها.

فقال ﷺ: «يا حارث، عرفت فالزم، عرفت فالزم، عرفت فالزم»^(٢).

ولنا العبرة في سيدنا حذيفة - رضي الله عنه - حينما سأله رسول الله ﷺ فقال له: «كيف أصبحت؟».

أي: كيف حالك الإيماني؟

قال حذيفة: يا رسول الله، عزفت نفسي عن الدنيا، فاستوى عندي ذهبها ومدّرها^(٣)، وكأني أنظر إلى أهل الجنة في الجنة يُنعمون، وإلى أهل النار في النار يُعذبون.

(١) الضُّغَاء: صوت الذليل إذا شُق عليه. والتضاغي: الصياح والبكاء. [لسان العرب - مادة: ضغاء].

(٢) حديث حارثة أورده ابن حبان في المجروحين (١/١٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفيه: أحمد بن الحسن بن أبان المصري. وفيه: أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن ينظر إلى عبد قد نور الإيمان في قلبه فليُنظر إلى حارثة».

(٣) المدر: قطع الطين اليابس المتحجر. [لسان العرب - مادة: مدر].

أي: أن الذهب تساوى مع الحصى .

فالإنسان من أهل الصلاح يعرف أنه في لقاء دائم مع الله، لذلك يضع برنامجاً لنفسه موجزه أنه يعلم أنه لا يخلو من نظر الله إليه .

يقول تعالى :

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] .

إنه يستحضر أنه لا يغيب عن الله طرفة عين، فيستحي أن يعصيه .

وعندما تتيقن أن الله ينظر إليك، فكيف تعصيه؟

أنت لا تجرؤ أن تفعل ذلك مع عبد مُساوٍ لك، فكيف تفعله مع الله؟!

ونحن نعرف أن من حسن العبادة في الإسلام، ومن السنن المعروفة قراءة القرآن ليلاً، وصلاة التهجد، وهذه في مدارج العملية الإيمانية التي يدخل بها الإنسان إلى مقام الإحسان .

فهناك مؤمن يقرأ القرآن في وقت من الليل، ومؤمن آخر يقرأ القرآن في وقت آخر، وكأن المؤمنين يقطعون الليل كله في قراءة القرآن .

والذي يدخل مع ربه في مقام الإحسان، فهو لا يصلي

فقط صلاة العتمة^(١)، وهي ستأخذ «إنى» واحداً، أي: وقتاً واحداً، ولكنه عندما يصلي في آناء الليل فذلك دليل أنه يُكرّر الصلاة، وزاد عن المفترض عليه.

وما دام زاد عن المفترض، فهو لا يكتفي بتلاوة القرآن؛ لأنه يريد أن يدخل في مقام الإحسان.

أي: أنه وجد ربه أهلاً لأن يصلي له أكثر مما افترض عليه، كأنه قد قال لنفسه: أنت كلفتنى يا رب بخمس صلوات، لكنك يا رب تستحق أكثر من ذلك.

فمعنى «محسن» أنه وَصِفَ للإنسان الذي آمن بربه، فعبد الله بأكثر مما افترض.

تعبّدنا الله بخمس صلوات، فنزيدها لتصل إلى عشرين مثلاً.

وتعبّدنا الله بصيام شهر في العام، ومنا من يصوم في كل شهر عدداً من الأيام.

وتعبّدنا الله بالزكاة بالنصاب^(٢)، ومنا من يزيد على النصاب.

(١) العتمة: ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق. وقيل: هي وقت صلاة العشاء الأخيرة. [اللسان - مادة: عتم].

(٢) النصاب: القدر الذي تجب فيه الزكاة إذا بلغه. فنصاب المال: =

وتعبَّدنا الله بالحج مرة في العمر، ومثلاً من يزيد عدد مرات الحج.

فحين يريد العبد أن يدخل في مقام الإحسان، فبابه هو أداء عبادات من جنس ما تعبَّده الله به، فالعبد لا يخترع أو يقترح العبادة التي يعبد بها الله، ولكنه يزيد فيما افترضه الله.

وهذه دقة البيان القرآني التي تُوضِّح مقام الإحسان، فيكون في مالهم حق للسائل والمحروم، وليس هناك قدر معلوم للمال الذي يخرج، لأن المقام هنا مقام الإحسان الذي يعلو مقام الإيمان.

ومقام الإيمان - بالنسبة للزكاة مثلاً - قد جاء ذكره في قول الحق سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمٍ
الَّذِينَ﴾ [المعارج: ٢٤ - ٢٦].

فالإنسان في مقام الإيمان قد يقيّد الإخراج من ماله بحدود الزكاة، أو فوقها قليلاً، لكن في مقام الإحسان فلا حدود لما يخرج من المال.

= ٨٥ جراماً من الذهب بسعر اليوم الذي تخرج فيه الزكاة إذا حال الحول على المال.

ومثل هذا أيضاً، فقد كَلَّفَ الله المسلم بالصلاة، وأعلمه بأنه حُرٌّ بعد صلاة العشاء، وله الحق أن ينام إلى الفجر، فإن سمع أذان الفجر فليقم إلى صلاة الفجر. لكن المحسن يريد الارتقاء بإيمانه، فيزيد من صلواته في الليل.

ويضيف الحق سبحانه مُذكِّراً لنا بصفات المحسنين:

﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

أَكَلَّفَ الله الخلق بأن يستغفروا بالأسحار؟

لا. بل إن الرسول يجيب على رجل سألَه عن الفروض الأساسية المطلوبة منه، فذكر له أركان الإسلام، ومن بينها الصلوات الخمس المكتوبة، فقال الرجل: «والله لا أزيد على هذا ولا أنقص».

فقال ﷺ: «أفلح إن صدق»^(١).

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه (٤٦) وكذا مسلم في صحيحه (١١) من حديث طلحة بن عبيد الله أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد، ثائر الرأس، نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول، حتى دنا من رسول الله ﷺ، فإذا هو يسأل عن الإسلام... فقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات في اليوم والليلة» فقال: هل عليّ غيرهن؟ قال: لا. إلا أن تطوع، وصيام شهر رمضان» فقال هل عليّ غيره؟ فقال: =

وبذلك دخل هذا الأعرابي في نطاق المفلحين .
إذن: فالذي يزيد على هذا يُدْخِلُه الله في نطاق المحسنين .

فالإحسان، هو أن تفعل فوق ما كلفك الله مُسْتَشْعِراً أنه يراك، فإن لم تُكُنْ تراه فإنه يراك، فترتضي التكليف، وتزيد على ما كلفك .

فيكون قد أدخلك الله في مقام الإحسان، لأنك حين جَرَبْتَ أداء الفرائض ذُقْتَ حلاوتها، وعلمت أن الله يستحق منك أكثر مما كلفك به .

ولذلك فبعض الصالحين في أحد سُبُحاته قال :
« اللهم . إني أخشى ألا تشيبيني على الطاعة، لأنني أصبحت أشتيها » .

أي: صارت شهوة نفسي، فهو خائف أن يفقد حلاوة التكليف والمشقة، فيقول: يا رب، إني أصبحت أحبها، ومفروض منا أن نمنع شهوات أنفسنا، لكنها أصبحت شهوة، فماذا أفعل؟

= « لا إلا أن تطوع » وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة . فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: « لا إلا أن تطوع » . قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه . فقال رسول الله ﷺ: « أفلح إن صدق » .

إذن: فهذا الرجل قد دخل في مقام الإحسان، واطمأنت نفسه، ورضيت، وأصبح هواه تبعاً لما أمر به الله ورَضِيه.

ولذلك يجب أن نلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى حينما تكلم عن المتقين، قال:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٥، ١٦].

لما هم مُحْسِنُونَ يا رب؟

يقول الحق سبحانه:

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧].

وهل كلفني الله ألا أهجع إلا قليلاً من الليل؟

لا، إن التكليف أن يصلي الإنسان العشاء من أول الليل، وينام حتى الفجر، لكن أن تحلو للمؤمن العبادة، ويزداد الإيمان في القلب والجوارح، ويأنس العبد بالقرب من الله، فالحق لا يردُّ مثل هذا العبد، بل إنه يستقبله ويدخله في مقام الإحسان.

والحق سبحانه يقول:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

فالأعمال تتفاوت، فقد تكون في ظاهرها قوالب متحدة، لكن التفاوت إنما ينشأ بكثرة العمل، أو بإخلاص المقارف^(١) للعمل، والمكتسب، والفاعل له.

فهناك مَنْ يُخلص بكل طاقته، وهناك مَنْ يؤدي عمله بنصف إخلاص.

ومسألة الإخلاص هذه لا تحددها لوائح ولا قوانين، إنما يحددها الحق سبحانه وتعالى.

ولذلك يقول محمد ﷺ مُبَلِّغاً عن رب العزة هذا الحديث القدسي:

«الإخلاص سرٌّ من سرِّي، استودعته قلب مَنْ أَحَبَّ من عبادي».

إذن: فمقاييس الإخلاص لا يعرفها إلا ربنا سبحانه وتعالى، وعلى مقدار ذلك تكون الدرجات، فالدرجات تكون على مقدار ما يزيده العبد من جنس ما فرضه الله عز وجل عليه.

والذي يقف عند ما فرض الله يجاز به الله على إخلاصه في أداء ما عليه، فالذي يزيد عما فرض الله

(١) الاقتراف: الاكتساب. ومقارفة الذنب: مدانته وملاصقته. والمقارفة: المخالطة. [اللسان].

من جنس ما فرض الله أشد فلاحاً .
ولا يصل الإنسان إلى المرتبة التي هي أشد فلاحاً، إلا
إذا كان في درجة أعلى .
والزيادة على ما فرضه الله، ومن جنس ما فرض لها
مَلَحْظَان :

الأول: أن العبد يشهد لربه بالرحمة، لأنه كَلَّفَ دون ما
يستحق .

الثاني: أن عمل الطاعة قد خُفِّفَ على المؤمن فاستراح
بها .

ألم يَقُلْ رسول الله ﷺ عن الصلاة: «أرحنا بها
يا بلال»^(١) .

وربُّ العزة سبحانه يقول في الحديث القدسي:
«ما تقَرَّبَ إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته
عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل»^(٢) حتى أحبه،
فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٦٤/٥)، وأبو داود في سننه
(٤٩٨٥) عن رجل من أسلم. قاله أحمد واللفظ له .

(٢) النوافل: جمع نافلة، وهو ما يفعله الإنسان مما لا يجب عليه .
والتنفل: التطوع. [اللسان - مادة: نفل].

به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه»^(١).

إن الحق سبحانه يضع مسؤولية القرب من الله في يد الخلق، ويسلم المؤمن مفتاح القرب من الله، فمن يَكُن من أصحاب الخلق الملتزمين بالمنهج يُقَرِّبه الله منه أكثر فأكثر.

إذن: فمن الناس من يصل بطاعة الله إلى كرامة الله، ويدق على باب الحق، فيفتح له الباب، ومن الناس من يصل بكرامة الله أولاً إلى طاعة الله ثانياً.

ولله المثل الأعلى: أنت كواحد من البشر قد يدق بابك إنسان يحتاج إلى لُقمة أو صدقة فتعطيه. وهناك إنسان آخر تحب أنت أن تعطيه، وعندما تعطيه يطيعك من منطلق الإحسان إليه.

فما بآلنا بعباء الحق سبحانه لعباده؟

إذن: فمنهم من يصل بكرامة الله إلى طاعة الله، ومنهم من يصل بطاعة الله إلى كرامة الله.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة. وأخرجه أحمد في مسنده (٢٥٦/٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وحين يصل الإنسان إلى القرب من الله، ويقرب الله من العبد، هنا يكون العبد في معية الله، وتفيض عليه هذه المعية كثيراً.

والحق سبحانه يريدنا أن نكون موصولين به سبحانه، وهذه الصلة تتم بالصلاة فرضاً خمس مرات في اليوم، وترك سبحانه الباب مفتوحاً لتطوعك، فلا تترك ساعة تستطيع أن تكون فيها بين يدي الله إلا فعلت.

فقد يرى الواحد من عباد الله أن القيام بالفروض لا يتناسب مع حبه لله تعالى، فيزيد من جنسها على ما فرض الله، ويصلي - بدلاً من خمسة فروض - عشرة أخرى نوافل، أو يصوم مع رمضان شهراً أو اثنين، أو يصوم يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع.

وهذا دليل على أنه وجد أن الفروض قليلة بالنسبة لدرجة حبه لله تعالى، وأن الله يستحق أكثر من ذلك، وهذا معناه أن مثل هذا البعد قد دخل في مقام الود مع الله تعالى.

ونحن حين ندخل في مقام الود والإحسان مع الله ونصلي في الليل، ونكون بارزين إلى السماء، فلا يفصلنا شيء عنها، وننظر فنجد نجوماً لامعة تحت السماء الدنيا، وأهل السماء ينظرون للأرض فيجدون مثلما نجد من

النجوم المتألئة اللامعة في الأرض ، ويسألون عنها ، فيقال لهم :

إنها البيوت التي يصلي أهلها آناء الليل وهم يسجدون ، وكل بيت فيه هذا يضيء كالنجوم لأهل السماء .



الليل آية من آيات الله

يقول الحق سبحانه :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... ﴾
إلى قوله : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُعْقِلُونَ... ﴾ [البقرة: ١٦٤] .

فالحق سبحانه يعطينا العبرة في اختلاف الليل والنهار، ومعنى اختلافهما أن كلا منهما يأتي خلف الآخر، النهار يأتي خلف الليل، والليل يأتي خلف النهار.

فاختلاف الليل والنهار يعني ألا يكون النهار سرمداً، أي دائماً لا ينقطع، ولا يكون الليل كذلك سرمداً.

إذن: فأنت أيها المتحرك في الكون ينطبق عليك ما ينطبق على كل متحرك؛ لا بُدَّ لك من سكون بقدر حركتك.

ولذلك انقسم الزمان إلى ليل تسكن فيه، وإلى نهار تتحرك فيه.

يقول تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا...﴾^(١)
[الفرقان: ٤٧].

أي: جعل النوم سكناً لكم، وقطعاً لأعمالكم، وراحة لأبدانكم.

ويعلم سبحانه أولاً أنه لا يمكن أن يكون الليل - أي وقت الراحة - سباتاً لكل الناس، بل لا بُدَّ من أناس يقومون بأمور تقتضي اليقظة بالليل. ولهؤلاء يقول سبحانه:

﴿وَمَنْ أَيْنِهٖ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ [الروم: ٢٣].

إنه يعطي فرصة لهؤلاء الذين تظل عيونهم ساهرة طوال الليل، ليستريحوا بالنهار.

إذن: فمن عظمة الحق سبحانه أنه جعل الزمان خلفه، فلو كان الليل سرمداً^(٢) والنهار سرمداً لفسدت الحياة.

(١) لباساً: يعني سترأً للخلق مقام اللباس في ستر البدن. قاله القرطبي في تفسيره (٤٩١٥/٧).

سباتاً: أي راحة لأبدانكم بانقطاعكم عن الأشغال. وقال الخليل: السبات نوم ثقيل. أي: جعلنا نومكم ثقیلاً، ليكمل الإجمام والراحة. قاله القرطبي في تفسيره (٤٩١٥/٧).

(٢) السرمد: دوام الزمان من ليل أو نهار. وليل سرمد: طويل. =

يقول تعالى :

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَا تَسْمَعُونَ﴾ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص : ٧١ ، ٧٢] .

أي : أن أحداً لن يستطيع الحركة في مثل هذا الليل السرمدي ، ولا أحد سيتبين شيئاً .

فالليل له مهمة ، والنهار له مهمة ، فإياكم أن تخلطوا المهمات في بعضها ، فالفساد إنما يأتي من اختلاط المهمات .
فنحن رأينا بعض الناس بعد انتشار الكهرباء والتلفزيون والفيديو يسهرون طوال الليل ، وبعد ذلك يقومون في الصباح بادية عليهم مظاهر السهر والإرهاق .

والواحد منهم يغالبه النوم في وقت عمله ، فلا يستطيع أن يؤدّيه كما ينبغي .

فالليل بعد أن كان كان للسكون والراحة أصبح للسهر والتسلية ، على حساب العمل بالنهار .

فاللّٰه تعالى يُعَدِّد لنا النعم التي لا يستطيع أحد غيره أن يأتي بها ، ومنها الليل والنهار .

= والسرمد : الدائم الذي لا ينقطع . [اللسان - مادة : سرمد] .

أي: لو صارت الحياة كلها ليلاً مستمراً إلى يوم القيامة مَنْ غير الله يستطيع أن يأتيكم بضياء .
وكلمة « سرمد » معناها: دائم .

فكأن الحق سبحانه يقول لنا: أخبروني إن جعل الله عليكم الليل مستمراً إلى يوم القيامة، مَنْ إله غير الله يأتيكم بضياء .

وانظروا إلى دقة التعبير القرآني في كلمة (بضياء) .
لم يَقُلْ: يأتيكم بنور . لأن النور قد يأتي من النجوم، وقد يأتي من القمر، لكنه يريد الضياء، لأن الضياء نور فيه حرارة، وفيه أشعة تنفع الحياة والأحياء .
ولذلك قال تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا...﴾ [يونس: ٥] .

ولو نظرت إلى المعنى السطحي في الشمس والقمر لَقُلْتُ: إن الشمس تعطي نوراً، وكذلك القمر .
ولكن النظرة الأعمق تتطلب منك أن تُفرِّق بين الاثنين، فالشمس تعطي ضياءً، والقمر يعطي نوراً، والفرق بين الضياء والنور يتمثل في أن الضياء تصحبه الحرارة والدفع، والنور إنارة حليلة .

ولذلك يُسمَّى نور القمر «النور الحليم»، فلا تحتاج

إلى الظل لتستظل من حرارته، لكن الشمس تحتاج إلى مظلة لتقيك حرارتها.

إذن: فالنور هو ضوء ليس فيه حرارة، والحرارة لا تنشأ إلا حين يكون الضوء ذاتياً من المضيء مثل الشمس، أما القمر فضوؤه غير ذاتي، ويكتسب ضوؤه من أشعة الشمس حين تنعكس عليه، فهو مثل المرآة حين تُسلط عليها بعضاً من الضوء، فهي تعكسه.

إذن: القمر مضيء بغيره، أما الشمس فهي تضيء بذاتها.

لذلك قال الحق سبحانه هنا:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥].

وقال في آية أخرى:

﴿نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾^(١) [الفرقان: ٦١].

والسراج هو ما يعطي الضوء والحرارة، وهو وُصف مناسب للشمس، فالشمس هي التي فيها حرارة، أما القمر فله منازل، وهو منير بضوء غيره.

(١) البرج: واحد من بروج الفلك، وهي اثني عشر برجاً، كل برج منها منزلتان. [راجع: لسان العرب - مادة: برج].

والحق سبحانه يقول :

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا
لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت : ٣٧] .

والآيات الكونية تعتبر مُفسّرة للآيات القرآنية ، فتفصيل
الآيات في الكون ما نراه من تعددها أشكالاً وألواناً وحِكماً
وغايات ، وتفصيل الآيات في القرآن هو ما ينهنّا إليه الحق
سبحانه في قرآنه .

وليلفت النظر إلى أن ذلك التفصيل في آيات الكون ،
وذلك الخلق العجيب الحكيم الذي لا يمكن أن يكون إلا
لإله قادر حكيم يستحق أن يكون إلهاً موحداً ، ويستحق أن
يكون إلهاً معبوداً .

والآية هي الشيء العجيب ، وهي تشتم آيات القرآن ،
لأنك حين تنظر إلى نظم آيات القرآن ، وإلى استيعابها
حقائق الوجود ، واستيفائها لقضايا الكون كله تقول لنفسك :
هذا شيء عجيب .

لأن الذي جاءت على لسانه هذه الآيات نبيّ أمّي ، ما
عُرِف عنه أنه زاول تعلّماً ، وما جرّبوا عليه أنه قال شعراً ،
أو نثراً ، أو له رياضة في الكلام .

ويجب أن تلفتنا هذه الآيات إلى أن لهذا الكون خالقاً مستحقاً وحده لأن يكون إلهاً، فنحن نعيش الليل والنهار، ونتنفس الهواء، ونستمتع بدفء الشمس، ونروي أراضيها بماء أنزله الله من السماء، ووجدنا كوناً مرتباً منظماً، يعطي للإنسان قبل أن يكون للإنسان إدراك أو طاقة.

فالآيات الكونية مهمتها أن تلفت المخلوق إلى جمال صنُّع الخالق، وأنه إله يستحق أن نؤمن به، فنعرف بالآيات الكونية أن وراء الكون قوة خلقته، وتمده بأسباب البقاء. فهذه الآيات معطيات من الله في الكون، ولا بد أن نكون من أولي الأبصار.

لأن الأمر الذي نتحدث عنه هو أمر مشهدي، أمر محسوس، فمن له عينان عليه أن يبصر بهما، فإذا كان التفكير والتدبر ليس أمراً موهوباً لكل مخلوق من البشر، فإن البصر موجود للغالبية من الناس.

كل منهم يستطيع أن يفتح عينيه ليرى هذا الأمر المشهدي.

والحق سبحانه يأمرنا أن ننظر ما في السموات والأرض، فيقول:

﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [يونس: ١٠١].

فالسّموات والأرض هما عالم المُلْك الذي تراه، فترى التوقيت الدقيق لظهور الشمس والقمر، ومواعيد الخسوف الكلي أو الجزئي، وتبهر بدقة المنظّم الخالق سبحانه وتعالى، بحيث لا تجد زحام مرور بين الكواكب، يعطل القمر أو يعطل الأرض، ولن يتوقف كوكب ما لنفاذ وقوده.

بل الأمر كما قال الحق سبحانه :

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ^(١)﴾ [يس: ٤٠].

والليل ظلمة، والظلمة فيها سكون، والسكون فيه فقد للأصوات المحيطة بك، ويشبه نومك الذي تنامه بالليل الموت، فهذه مثل :

﴿وَأَيُّهُمْ لَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَتَاعِ أَحَدٌ مِنْهَا...﴾ [يس: ٣٣].

لماذا؟

لأن الليل لما كان مقابلاً للنهار، فإن السطحين في التفكير يجعلون كل تقابل تضاداً، فيقولون: الليل ضد

(١) الفلك: مدار النجوم. والجمع: أفلاك. قال الفراء: الفلك استدارة السماء. [اللسان - مادة: فلك].

النهار. وهو ليس بضده، فهو متكامل معه، أي: يكونان كملاً واحداً.

لأن الليل جاء لنهداً من حركة النهار، حتى نستأنف نهراً جديداً بنشاط.

إذن: فالليل مُتَمِّم، والنهار جاء ليستغل راحتك في أن تتعب بالنهار، فالاثان متعاندان أم متعاضان؟

إنهما متعاضان، وكل شيء له مقابل إياك أن تنظر إليه على أنه ضد، بل انظر إلى ضرورة وجوده.

ولذلك يقول الحق سبحانه:

﴿وَأَيُّهَا لَهُمُ آيَلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧].

فالحق سبحانه حينما يخلق التقابل نُسَمِّيهِ نحن التكامل والتساند لا التعاند، والتعاوض لا التعارض، حتى نفهم أن كل الأشياء موزونة بميزان إلهي دقيق.

وَسَلَخُ النهار من الليل يؤكد هذا.

فالسلك كشط الجلد عن الشاة، ولكن ما العلاقة بين هذا وبين ضوء الليل والنهار؟

نقول: الأصل في الأشياء الظُّلْمَةُ، ولا تذهب الظلمة إلا بمنير طارئ، فبالليل ظلمة، ثم يأتي النهار يستر هذه الظلمة.

فكأن النهار حينما يأتي يستر الظلمة، كما يستر جلد الشاة لحمها، فإذا ما أراد الحق سبحانه أن يأتي الظلام يخلع الضوء، أي: يسلك جلد الضوء، فيأتي الليل على طبيعته .

فالنهار كالجلد يغطي لحم الظلام، فعندما نريد للظلام أن يأتي نخلع الغلاف الضوئي، فيعود الظلام على حاله . فالظلام هو انعدام النور، لكن النور إيجابي يحتاج إلى آلة جديدة، فلو تركته لحاله لكان مظلماً، فإن أردت أن تجعله منيراً أتيت بآلة .

وهل هناك آلة للظلام؟

لا، لأنه متى غاب النور جاء الظلام .

إذن: فالظلام أمره عدمي، يكون متى اختفت آلة الإنارة . فكأن الليل كان مجلّداً ومغلّفاً بالنهار، والليل أسود، والنهار فيه الضوء .

ونحن نعلم أن اللون الأسود ليس من ألوان الطيف، وكذلك اللون الأبيض ليس من ألوان الطيف، لأن ألوان الطيف: الأحمر، البرتقالي، الأصفر، الأخضر، الأزرق، النيلي، البنفسجي .

واللون الأسود يأخذ ألوان الطيف ويجعلها غير مرئية؛

لأنك لا ترى الأشياء إلا إذا جاءت لك منها أشعة لعينيك .
واللون الأسود يمتص كل الأشعة التي تأتي عليه ، فلا
يرتد إلى العين شعاع منها ، فتراه مظلماً .

أما اللون الأبيض فهو مزيج من ألوان متعددة ، إن
مزجتها مع بعضها يمكنك أن تصنع منها اللون الأبيض .
وهكذا نعرف أن الأبيض مثله مثل الأسود تماماً ،
فالأسود يمتص الأشعة فلا يخرج منه شعاع لعينيك ،
والأبيض يرد الأشعة ولا يخرج منه شعاع لعينيك .

فكأن الليل ثوب أسود يأتي عليه ثوب أبيض هو النهار ،
فإذا جاء ميعاد الليل رُفِع الثوب الأبيض ، أو سُلِخ النور
عن ظلمة الليل ، لتصبح الدنيا مليئة بظلام الليل ، وكأن
النور هو الذي يطرأ على الظلمة فيكسوها بياضاً .

أي : أن الضوء هو الذي يأتي ويذهب ، بينما الظلمة
موجودة ، فإذا جاءها ضوء الشمس صارت نهاراً ، وإذا
انسلخ منها صارت ليلاً .

والشمس لا تدرك القمر ؛ لأنه سابق لها ، لكن الليل
إياك أن تقول إنه يسبق النهار ؛ لأن هذه آية كونية .

فالليل لا يسبق النهار ، ولا النهار يسبق الليل .

فلو أن الأرض مسطوحة ، وخلق الله الشمس مواجهة

للأرض لكان مجيء النهار هو الأول، ثم تغيب الشمس فيأتي الليل بظلامه .

وإن كان الله قد خلق الشمس ليست مواجهة للأرض لكان الليل أولاً، ثم جاء النهار .

ولم يكن هذا ولا ذاك، بل إن الليل والنهار وُجدا على الأرض في وقت واحد، وهذا لا يتأتى إلا إذا كانت الأرض مَكْوَرَة .

أي: ما واجه الشمس فهو نهار، وفي نفس الوقت ما لم يواجهها فهو ليل، فهما قد وُجدا معاً .
إذن: لا الليل سابق النهار، ولا النهار سابق الليل .
ويقول الحق سبحانه :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٢٩] .

وهذه آية أخرى من آيات الله في الكون، فإنه سبحانه لم يخلق النهار بمقدار معين من الساعات متشابه في كل مرة .
لا، إنه سبحانه شاء لليل أن ينقص أحياناً عن النهار خمس ساعات، وأحياناً يزيد الليل على النهار خمس ساعات .

أي: أنه سبحانه يُدخِل الليل على النهار، فيأخذ جزءاً من النهار ليطول به زمن الليل، ومرة يُدخِل النهار على الليل، فيأخذ منه جزءاً ليطول به عنه.

ولذلك تجد الليل والنهار يختلف طول كل منهما من فصل إلى آخر، ففي الصيف يطول النهار، ويقصر الليل، وفي الشتاء يقصر النهار ويطول الليل، وهكذا.

ولنا أن نتساءل:

هل تنقص الخمس ساعات من الليل أو النهار مرة واحدة، وفجأة؟

هل يفاجئنا النهار بعد أن يكون اثنتي عشرة ساعة، ليصبح سبع عشرة ساعة؟

هل يكون الليل مفاجئاً لنا في الطول أو القصر؟

لا، إن المسألة تأتي تباعاً، بالدورة، بحيث لا تحس ذلك، فهناك نوع من الحركة اسمها «الحركة الترسية».

إننا عندما ننظر إلى الساعة التي تدور نجد أن دورتها تعتمد على التروس، فهل يمشي عقرب الساعة في كل الزمن؟

لا، إن كل ترس له زمن يتوقف فيه، وعندما يتوقف فإننا ندفع به ليعيد دورته، ويعمل، وإذا دققنا النظر في

عقرب الدقائق فإننا نستطيع أن نلاحظ ذلك .

إذن : هناك فترة توقُّف وسكون بين انتقال عقرب الدقائق من دقيقة إلى أخرى ، وهذا اللون من الحركة نسميه « حركة ترسية » ، وهناك حركة أخرى ثانية نسميها « حركة انسيابية » ، بحيث يكون كل جزء من الزمن له حركة ، كما يحدث الأمر في ظاهرة النمو بالنسبة للإنسان والنبات والحيوان .

فالواحد منكم إن نظر إلى ابنه الوليد ، وظل ناظراً له طوال العمر ، فلن يلحظ الإنسان منكم كِبَر ابنه على الإطلاق ، لكن عندما يغيب الإنسان عن ابنه شهراً أو شهوراً ، ثم يعود ، هنا يرى ابنه في مجموع نمو الشهور التي غاب فيها عنه ، وقد أصبح واضحاً .

ولو زرع الإنسان نباتاً ما ، وجلس ينظر إلى هذا النبات ، فإنه لن يرى أبداً نمو هذا النبات ، لماذا؟ لأن الجزئيات تكبر دون قدرة على أن يلمس الإنسان طريقة نموها .

إذن : فقول الحق سبحانه :

﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ [آل عمران : ٢٧] .

هو لَفْتُ للانتباه البشري إلى أن الليل والنهار لا يفصل بينهما حد قاطع بنسبة متساوية لكل منهما .

لا . . . إنه الحق بقدرته يُدخِل الليل في النهار، ويُدخِل النهار في الليل .

إن معنى تُولج: تُدخِل .

والليل والنهار هما أوضح صور ظرف الزمان، وفيهما اختلاف، فالليل يأتي والنهار خلفه، لأن النهار جعله الله ضياءً، للحركة والكدح والعمل، وجعل سبحانه الليل ظلاماً، للسكون والراحة، فإن لم ترتح بالليل، فإنك لن تقوى على العمل في الصباح .

وهكذا يكون الليل مُكَمَّلاً للنهار، لا مناقضاً له .

يقول الحق سبحانه:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢] .

فالليل خِلْفَة للنهار، ومعنى خلفه . أي: يخلف غيره .

ومعنى ذلك أن كلاً منهما كان موجوداً من البدء، ولأن الأرض تدور جاء النهار في البلاد التي تشرق فيها الشمس، وجاء الليل في البلاد التي تغيب عنها الشمس، وتتابع الليل والنهار .



عباد الرحمن

يقول الحق سبحانه :

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ^(١) قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا *﴾
[الفرقان: ٦٣، ٦٤].

فأول صفة لعباد الرحمن أنهم يمشون على الأرض هوناً، أي: بوقار ورفق ولين وسكون.

وقالوا: إن المشي الهون هو الذي يسير فيه الإنسان على سجيته بدون افتعال عظمة أو مشية معينة في إعجاب بالنفس أو تكبر واختيال، وبدون انكسار، وذلة في المشي أيضاً بل يمشي مشياً طبيعياً.

والصفة الذاتية يجب ألا يفتخر بها الإنسان إلا إذا كانت من ذاته، والإنسان ليس عنده أي صفة ذاتية فيه حتى يختال ويتكبر بها؛ لأنها كلها موهبة من الله.

(١) الجاهلون: السفهاء والذين تأخذهم الأنفة والغضب على الجهل.

فالمتكبر المختال إنسان مضروب على قلبه الحجاب، فلم يلتفت إلى ربه الأعلى، فهو يظن أنه أحسن من الناس كلهم، ولكنه لو استحضر كبرياء ربه لاستحى أن يكون متكبراً.

فصفة عباد الرحمن في ذواتهم أنهم يمشون على الأرض هوناً.

وصفتهم في علاقاتهم بالناس قال عنها ربنا سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

الجاهلون هم السفهاء، والسفيه هو الذي لا يزن الأمور، ولا يعقل كلامه، ولا يضع كل كلمة موضعها، فهو جاهل.

فهذا الجاهل السفيه لا تَكُنْ مثله، وترد عليه بمثل قوله، فجواب ما يكره هو السكوت، وإلا فلو سفهت عليه كما سفه عليك فقد صرت مثله تماماً.

فلا بد أن تُشعره بالفرق بينك وبينه.

ولكن، إذا اشتدت سفاهته عليك وطغى وبغى، فيُباح لك أن ترد العدوان بمثله؛ لأنه قد يظن أن هذا السكوت ضعف، فعليك أن تبين له أن هذا

السكوت ليس ضعفاً، ولكنه كرم خلق.

ومعنى: ﴿وَقَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

أي: سلام المتاركة، فإذا جهل عليك إنسان وسبَّك بلسانه حلمت عليه، وقلت له: أنا لن أرد عليك وتركته وانصرفت.

وسلام المتاركة غير سلام التحية الذي تلقيه على من يقابلك حين تبدأه بالسلام، وقد يتحول سلام المتاركة أحياناً إلى سلام التحية للانصراف، مثلما قال سيدنا إبراهيم عليه السلام لعمه آزر بعد أن دعاه إلى الإسلام فأبى، ولم يقتنع فانصرف عنه، وقال له:

﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾^(١) [مريم: ٤٧].

فَحَالُ عِبَادِ الرَّحْمَنِ فِي ذَوَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا.

(١) قال القرطبي في تفسيره (٦/٤٢٨٣): «الجمهور على أن المراد بسلام المسالمة التي هي المتاركة لا التحية. قال الطبري: معناه أمانة مني لك. وعلى هذا لا يبدأ الكافر بالسلام. وقال النقاش: حليم خاطب سفيهاً. وقال بعضهم في معنى تسليمه: هو تحية مفارق. وجوز تحية الكافر وأن يبدأ بها».

وحالهم مع الناس أنهم حين يخاطبهم الجاهلون يقولون لهم سلاماً.

وبعد ذلك يأتي حالهم مع ربهم، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

فساعة يبيت الواحد منهم في الليل يحاسب نفسه: ماذا قدّم من عمل في نهاره؟

ويتذكر نِعَمَ الله التي تجلت عليه في ذلك اليوم، وهي نِعَمَ ليست ذاتية فيه، ولكنها موهوبة من ربه، فيشكر الله عليها، ويبيت لربه ساجداً قائماً.

قال تعالى:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ ^(١) [الزمر: ٩].

وأصل القنوت في اللغة هو المداومة على الشيء، وقد حضّ وحثّ القرآن الكريم على ديمومة طاعة الله، ولزوم الخشوع والخضوع.

(١) القنوت: الخشوع والإقرار بالعبودية. وقيل: الدعاء في الصلاة. فحقيقة القنوت: العبادة والدعاء لله عز وجل في حالة القيام. ويجوز أن يقع في سائر الطاعة، لأنه إن لم يكن قيام بالرجلين، فهو قيام بالشيء بالنية. [لسان العرب مادة: قنت].

فلا يستوي الذي يخشع لله في أثناء الليل، فيقضيه قائماً وساجداً يرجو رحمة ربه، وذلك الذي يدعو ربه في الضراء، وينساه في السراء.

ولذلك يقول الحق سبحانه:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

أي: هل يستوي الذين يعلمون حقوق الله، فيطيعوه ويوحده، والذين لا يعلمون فيتركوا النظر والتبصر في أدلة قدرات الله؟

إن السبيل إلى أن يتذكر أولو الألباب هو تجديد الصلة به سبحانه، والوقوف بين يديه مقيمين للصلاة.

وفي آية أخرى يقول الحق سبحانه:

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الْآئِلِ مَا يَجْعُونَ * وَبِالْآسَافِ هُمْ يَسْتَعِفُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

وهذا لا يعني أن المسلم مُطالب بأن يقوم الليل كله، ولكن عليه إن أراد زيادة في الخير وقرباً من الله أن يقوم جزءاً، ولو قليلاً من الليل.

حتى أن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْعِشَاءِ رَكَعَتَيْنِ فَأَكْثَرَ كَانَ قَدْ بَاتَ لِلَّهِ سَاجِداً وَقَائِماً»^(١).

فَاللَّهُ يَرِيدُ مِنْكَ قَبْلَ أَنْ تَنَامَ وَتَسْتَرِيحَ أَنْ تَذْكُرَ الَّذِي جَعَلَ لَكَ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّهَارَ مَعَاشاً، وَأَنْعَمَ عَلَيْكَ كُلَّ هَذِهِ النِّعَمِ، فَتَشْكُرْهُ عَلَيْهَا، وَلَوْ بِصَلَاةِ رَكَعَتَيْنِ.

وَالْحَقُّ سُبْحَانَهُ يَقُولُ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصَحْبِهِ:

﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا اللَّهُمَّ أَنْتَ أَشَدُّ أَعْيُنَ الْكَافِرِ رُحْمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَاجِدًا...﴾ [الفتح: ٢٩].

فَهُمْ فِي رُكُوعِهِمْ وَسُجُودِهِمْ إِنَّمَا يُعْبَرُونَ عَنْ قِيمِ الْوَلَاءِ لِلَّهِ.

وَالسُّجُودُ أَقْوَى سَمَاتِ الْخُضُوعِ فِي الصَّلَاةِ، وَمَا دَامُوا يُصَلُّونَ فَلَا بَدَّ أَنْهُمْ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَهُمْ يُوَدُّونَ الصَّلَاةَ بِخُشُوعٍ كَامِلٍ.



وَمِنَ السُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ لَيْلاً، وَصَلَاةُ التَّجَهُّدِ، وَهَذِهِ فِي مَدَارِجِ الْعَمَلِيَةِ الْإِيمَانِيَةِ الَّتِي يَدْخُلُ بِهَا الْإِنْسَانُ إِلَى مَقَامِ الْإِحْسَانِ.

(١) ذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٥٨٨٣/٨) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ قَوْلِهِ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَهْوِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْوُقُوفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَرْهَ اللَّهُ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ، وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ».

وهناك مؤمن يقرأ القرآن في وقت من الليل ، ومؤمن آخر يقرأ القرآن في وقت آخر ، وكأن المؤمنين يقطعون الليل في قراءة القرآن .

فأهل المودة والقرب والتقوى يُفاض عليهم من المولى سبحانه ، وهم مِمَّنْ اختَصَّهم الله بالعطاءات ، فالذي وُجِدَتْ فيه هذه الصفات ، وكان مؤمناً حقاً كانت له درجات عند ربه ، تناسب حظه من الحق وحظه من الصفاء .

ولنعرف أن السَّيْرَ في دَرْبِ الحق يُعطي الكثير .
والمثال الذي نقدمه على هذا : أننا نجد مَنْ يصلي الأوقات الخمسة في مواعيدها ، وهذا هو المطلوب العام .
أما إذا ما صلى ضِعْفَ ذلك بالليل ، أو واظب على الصلاة في الجماعة ويلزم نفسه بمنهج الله ، فسوف يأخذ حَظًّا من الصفاء لم يكن موجوداً عنده من قبل ذلك ، وسيجد في قلبه إشراقات وتجليات ، وتسير أمور حياته بسهولة ويُسر .



الصلاة الخاشعة

الصلاة هي استحضار العبد وَقَفْتَهُ بين يَدَي رَّبِّهِ، وحينما يقف العبد بين يدي الله، لا بُدَّ أن يزول كُلُّ ما في نفسه من كبرياء، ويدخل بدلاً منه الخشوع، والخضوع والذلة لله سبحانه.

والمتكبر غافل عن رؤية ربه الذي يقف أمامه، فعدم الإيمان بالنبي الذي فُرِضَتْ عليه وعلى أمته الصلاة، وعدم الوقوف بين يدي الله للصلاة له سبحانه كما يجب أن تُؤدَّى، وكما فرضها الله تعالى من فوق سبع سموات، إنما هو رَفُضٌ للخضوع لأوامر الله.

والصلاة تحارب الاستكبار في النفس، لذلك كان مُؤدَّى الصلاة أنها تركز الخشوع في النفس.

والخشوع يجعل الإنسان يستحضر عظمة الحق سبحانه، ويعرف ضالة قيمته أمام الحق سبحانه، ومدى عجزه أمام خالق هذا الكون.

ويعلم أن كل ما عنده يمكن أن يذهب به الله تعالى في

لحظة، ذلك أننا نعيش في عالم الأغيار .
ولذلك فلنخضع للذي لا يتغير؛ لأن كل ما يحصل
عليه الإنسان هو من الله، وليس من ذاته .
والذين يغترُّون بوجود الأسباب نقول لهم: اعبدوا
واخشعوا لواهب الأسباب وخالقها؛ لأن الأسباب لا تعمل
بذاتها .

والله سبحانه وتعالى يجعل الأيام دُولًا^(١)، أي:
متداولة بين الناس، إنسان يفاخر بقوته، يأتي مَنْ هو أقوى
منه فيهزمه .

إنسان يفاخر بماله، يضيع هذا المال في لحظة .
واقراً قوله تعالى:

﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ^(٢) فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ
الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ

(١) دالت الأيام: دارت . والله يداولها بين الناس . وتداولته
الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة . ودوايك من تداولوا الأمر
بينهم يأخذ هذا دولة وهذا دولة . (لسان العرب - مادة: دول) .

(٢) القَرْحُ والقَرْحُ: عض السلاح ونحوه مما يجرح الجسد ومما
يخرج بالبدن . وقيل: الآثار، والقرح الألم . وقال يعقوب: كأن
القرح الجراحات بأعيانها، وكأن القرح ألمها . (لسان العرب
- مادة: قرح) .

شَهْدَاءُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ [آل عمران: ١٤٠].

ولذلك لا بُدَّ أن نفهم أن الإنسان الذي يستعلي
بالأسباب سيأتي وقت لا تعطيه الأسباب، فالإنسان إذا بلغ
في عينه وأعين الناس مرتبة الكمال اغترَّ بنفسه.

نقول له: لا تغترَّ بكمالات نفسك، فإن كانت موجودة
الآن فستغير غداً، فالخشوع لا يكون إلا لله.

من هم الخاشعون؟

الخاشع هو الطائع لله، الممتنع عن المحرمات،
الصابر على الأقدار، الذي يعلم يقيناً داخل نفسه أن
الأمر لله وحده، وليس لأيِّ قوة أخرى، فيخضع لمن
خلقه وخلق هذا الكون له.

الخاشعون هم الذين يقرنون الطاعة بالثواب، والمعصية
بالعقاب والعذاب؛ لأن الذي ينصرف عن الطاعة لمشتقتها
عزل الطاعة عن الثواب فأصبحت ثقيلة، والذي يذهب إلى
المعصية عزل المعصية عن العقاب فأصبحت سهلة.

وهكذا يتلقى المؤمن مشقات الطاعة بحُبٍّ، فيُهوِّنُها
الحق سبحانه عليه، ويجعله يدرك لذة هذه الطاعة، لتَهونَ
عليه مشقتها، ويمدُّه سبحانه أيضاً بالمعونة.

الخاشع الخاضع لله يستشعر حلاوتها، ولذلك كان

رسول الله ﷺ يقول عندما يحين موعد الصلاة: «أرحنا يا بلال»^(١).

والحق سبحانه يقول في الصلاة، وهي أم العباداة:

﴿وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

إذن: عندما يأتي التكليف يكون شاقاً، وما دام شاقاً فهو بحاجة لصلابة إيمان وجَلَد^(٢) ويقين، بحيث يَعي أن ما قام به من عمل وإن كان شاقاً لكنه سيعطيه سعادة كبيرة جداً.

لذلك عندما تتضخم الجزاءات في نفس المؤمن يُقبل على العمل بحُب.

لذلك يقول بعض العارفين: «اللهم إني أخشى ألا تثبيني على الطاعة؛ لأنها أصبحت شهوة نفس».

والحق سبحانه يقول:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٦٤/٥، ٣٧١)، وأبو داود في سننه (٢٩٦/٤) طبعة دار الكتب العلمية. من حديث رجل من أسلم.

(٢) الجلد: القوة والشدة والصلابة والصبر. والتجلد: تكلف الجلادة. وتجلد: أظهر الجلد. (لسان - مادة: جلد).

فالفلاح هو الفوز بأقصى ما تتطلع إليه النفس من خير، وأول أسباب الفلاح عند المؤمن هو الخشوع في الصلاة، فمسألة أداء الصلاة شيء مفروغٌ منه، لأن الصلاة علامة الإيمان.

أما أن تكون الصلاة سبباً من أسباب الفلاح، فهذا يرجع إلى إقامتها لا أدائها، إقامتها على الوجه الأكمل الذي يرضاه مَنْ تُصَلِّي له، ركوعاً وسجوداً وقياماً.

وكلمة «أفلح» مأخوذة من فلح الأرض، فاعلموا يا مسلمين أنكم كما تفلحون الأرض وتتعبون فيها، فتأتي لكم بالخير الكثير، فكذلك حين تتعبون في العبادة وطاعة الله في الدنيا، ربنا يعطيكم خير الجزاء في الآخرة.

وأول ظاهرة الفلاح هي الصلاة أيضاً، فعلاقة المؤمن بالصلاة ليس فيها كلام، فليس مؤمناً مَنْ لا يصلي، فالصلاة صفة لازمة من صفات المؤمن.

ولكن الحق سبحانه يريد أن يُبين لنا أن فلاح المؤمن ليس في أداء الصلاة فقط، ولكن في الخشوع فيها.

والخشوع هو سكينه القلب واطمئنانه، واستحضار أنه واقفٌ بين يدي الله.

والخشوع معناه اطمئنان القلب، ومعنى اطمئنان القلب سُكونه في مهمته هذه، فلا يشتغل بشيء آخر؛ لأن الله ما جعل لرجل من قلوبين في جوفه .
يقول تعالى :

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ ﴾ . . . ﴿ [الأحزاب : ٤] .

وما دام في حَضْرَةِ رَبِّهِ فَلْيَكُنْ كل شُغْلِهِ مع الله .
حتى قال أحد العارفين :

إن الذي يتعمد أن يعرف مَنْ على يمينه وَمَنْ على شماله في الصَّفِّ تبطل صلاته .

وسيدنا عمر رضي الله عنه حينما دخل المسجد ووجد رجلاً يصلي يعث بلحيته، ضربه على يده وقال : لو خشع قلبك لخشعت جوارحك^(١) .

لأن الجوارح تستمدُّ طاقتها من القلب الذي يمدُّها

(١) ذكر أبو محمد عبد الحق هذا الأثر في كتاب « الصلاة والتهجد » (ص ١٨٩) بتحقيقي طبعة دار الوفاء - المنصورة، ولكن عزاه للحسن البصري، وذكر له أيضاً أن الحسن نظر يوماً إلى رجل يعث بالحصباء في الصلاة وهو يقول : اللهم زوِّجني من الحور العين، فقال له : بئس الخاطب أنت، تخطب الحور العين وأنت تعث بالحصباء .

بالدم، فلو كان القلب مشغولاً بشيء آخر لَذَهَلَ^(١) عن الجارحة .

ولذلك عندما سُئِلَ أحد العارفين عن حكم مَنْ يسهو في الصلاة، فقال له: عند الفقهاء يُجْبَر السهو في الصلاة بسجود السهو، ولكن عند العارفين مثلنا: مَنْ يسهو في صلاته نقتله .

وهذا لأن الله تعالى يستحقُّ مِنَّا ألا نشتغل عنه في فترة الصلاة القصيرة .

فالحق سبحانه يتركك أكثر من ٢٣ ساعة في اليوم، ولا يأخذ منك وقت الصلوات الخمس أكثر من نصف الساعة، وهي وقت الصلاة التي تقف فيها بين يدي الله سبحانه .

ففي هذا الوقت القصير الذي يستحضرك الله لصالحك حتى تكون في جَلُوة مع ربك، لتأخذ طاقة الإمداد والمعونة وإشراقات النور، فتستكثر هذا الوقت القصير، وتنشغل فيه عن ربك .

هذا لا يصحُّ، ولا يجوز أبداً، لذا كان الخشوع في الصلاة من سمات الصالحين .

(١) الذهل: تركك الشيء تتناساه على عمد أو يشغلك عنه شغل .
(لسان العرب - مادة: ذهل) .

يقول الحق سبحانه :

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ ^(١) [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

والأذقان جمع ذقن، والذقن هو الفك الأسفل.

فساعة يخرون ليس على وجوههم فقط، ولكن على الوجه والأنف والذقن أيضاً، وهذا دليل على التمكن في السجود.

﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

أي: كلما سمعوا آية من القرآن ازدادوا خُشوعاً وخشية لله.

وهؤلاء يقول عنهم رَبُّ الْعِزَّة سبحانه :

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وَالْوَجَل هو الخوف في فزع ينشأ منه قشعريرة، واضطراب في القلب، فذكر الله يدفع قلوب المؤمنين إلى

(١) خر لوجهه يخر خراً وخروراً: وقع وسقط. والخرور: سقوط من علو إلى أسفل بصوت. وخر ساجداً: أسرع إلى السجود. والتعبير كناية عن سرعة الاستجابة لله.

الْوَجَل^(١)، وهذا لا يتنافى مع قول الحق سبحانه:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ففي الحقيقة لا يوجد تعارض بين القولين؛ لأن ذكر الله تعالى يأتي بأحوال متعددة، فإن كان الإنسان مُسْرِفاً على نفسه، فهو يرجف حين يذكر الله الذي خالف منهجه.

وإن كان الإنسان يُراعي حَقَّ الله في كل عمل قَدَّر الاستطاعة، فلا بُدَّ أن يطمئن قلبه لحظة ذِكر الله؛ لأنه اتبع منهج الله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

إذن: فالخوف أو الوجَل إنما ينشأ من مهابة وسطوة صفات الجلال، والاطمئنان إنما يجيء من إشراقات وحنان صفات الجمال.

(١) يُروى أن الله عز وجل أوحى إلى داود عليه السلام: «أذكرني حين تذكرني وأنت تنتفض أعضائك، وكُنْ عند ذكرني خاشعاً مطمئناً، وإذا قمت بين يدي فقم مقام العبد الذليل الحقير، وذم نفسك فإنها أولى بالذم، وناجني حين تناجني بقلب خائف ولسان صادق» ذكره عبد الحق في كتابه «الصلاة والتهجد» (ص ١٨٩). وقد أخرج نحوه عن موسى عليه السلام في الزهد (ص ١٠٨) وأورده الغزالي في الإحياء (١/١٦٣).

ولذلك تجمعهما آية واحدة، هي قول الحق تبارك وتعالى:

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (١)
[الزمر: ٢٣].

فالجلود تقشعر خوفاً وَوَجلاً مَهَابَةً من الله عز وجل، ثم تلين اطمئناناً وطمعاً في حَنَانِ المَثَانِ سبحانه وتعالى .
وهكذا نرى أن الجلود تقشعرُ من هَوْلِ الوعيد بالنار، ومجرد قراءة ما ذكره القرآن عنها، وبعد ذلك تأتي الرحمة، وفي هذه الحال لا تلين الجلود فقط . ولكن لا بد أن تلين القلوب؛ لأنها هي التي تعطي اللمحة الإيمانية لكلِّ جوارح الجسد .
فالإيمان يهزُّ كل أعضاء الجسد البشري .

(١) قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٠): «يروى عن سفيان بن عيينة معنى قوله تعالى: (متشابهاً مثنائي) إن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد فهذا من المتشابه، وتارة تكون بذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين، وكصفة الجنة ثم صفة النار، وما أشبه هذا، فهذا من المثنائي كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].»

الدعاء واحة العابدين

مَا دُمْتَ قَدْ ذُقْتَ حلاوة ما أعطاك الحق سبحانه من إشراقات ونفحات وتجليات صفائية، فعليك أن ترفع يديك داعياً وسائلاً الله شاكراً له سبحانه .

ولا تخش، فإن دعائك سيصل حتماً إلى ربك، فهو القائل سبحانه :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...﴾ [البقرة: ١٨٦].

والله سبحانه وتعالى في عطائه يحب أن يطلب منه الإنسان، وأن يدعو، وأن يستعين به، وهذا يُوجب الحمد والشكر، لأنه يقينا الذل في الدنيا، فأنت إن طلبت شيئاً من صاحب نفوذ، فلا بد أن يحدد لك موعداً، أو وقت الحديث ومدة المقابلة، وقد يضيق بك فيقف لينهي اللقاء .

أما الحق سبحانه فبابه مفتوح دائماً، فأنت بين يديه عندما تريد، وترفع يديك إلى السماء وتدعو وقتما تحب،

وتسأل الله ما تشاء، فيعطيك ما تريده إن كان خيراً لك،
ويمنع عنك ما تريده إن كان شراً لك.

والله سبحانه وتعالى عطاؤه لا ينفذ، وخزائنه لا تفرغ،
فكلما سألته جل جلاله كان لديه المزيد^(١)، ومهما سألته
فإنه لا شيء عزيز على الله سبحانه وتعالى، إذا أراد أن
يحققه لك.

واقراً قول الشاعر:

حَسْبُ نَفْسِي عِزًّا بَأَنِّي عَبْدٌ يَحْتَفِي بِي بِلَا مَوَاعِيدَ رَبُّ
هُوَ فِي قُدْسِهِ الْأَعَزُّ وَلَكِنْ أَنَا أَلْقَى مَتَى وَأَيْنَ أَحَبَّ
والله سبحانه يطلب منك أن تدعوه وأن تسأله، فيقول:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

والعلماء يقولون: إن الدعاء إذا قصدت به الذلة
والعبودية يكون جميلاً، أما الإجابة فهي إرادة الله، إن

(١) يقول الحق سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي لو
أن أولكم، وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد،
فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا
كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر» أخرجه مسلم في صحيحه
(٤/ ١٩٩٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

حظك من الدعاء هو العبادة والذلة لله، لأنك لا تدعو إلا إذا اعتقدت أن أسبابك كبشر لا تقدر على هذه؛ ولذلك سألت من يقدر عليها، وسألت من يملك.

ولنتعلم ما علمه رسول الله ﷺ لعائشة أم المؤمنين .
لقد سألت رسول الله ﷺ إذا صادفت ليلة القدر،
فقلت: إن أدركتني هذه الليلة، بماذا أدعو؟
انظروا إلى رسول الله ﷺ، لقد علم أم المؤمنين عائشة
أن تدعو بمقاييس الخير الواسع، فقال لها:
«قولي: اللهم إنك عَفُوٌّ تحب العَفْوَ فَاغْفُ عَنِّي»^(١).

ولا يوجد جمال أحسن من العفو، ولا يوجد خير
أحسن من العفو.

ومعنى العفو محو الأثر، كالسائر في الصحراء تترك
قدماء علامة، وتأتي الريح لتزيل هذا الأثر، كأن هناك
ذنباً والذنب له أثر، وأنت تطلب من الله أن يمحو
الذنب.

وعندما ندعو بالدعاء الذي علمه لنا الحق سبحانه:

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٧١/٦، ١٨٢، وابن ماجه في سننه (٣٨٥٠)، والترمذي في سننه (٣٥١٣). وقال: حديث حسن صحيح من حديث عائشة رضي الله عنها.

﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فنحن بهذا الدعاء نتوجه إلى الله ضارعين: أنت يا حق تعلم أننا مهما أوتينا من اليقظة الإيمانية والحرص الورعي فلن نستطيع أن نؤدي حقك كاملاً، ولذلك لا ندخل عليك إلا من باب أن تعفو عنا.

والعفو هو أن نرتكب الذنب، ونطلب من الله محوه ومغفرته، أما الرحمة فهي الدعاء بألا يُدخلنا في الذنب أصلاً. والحق سبحانه يقول لرسوله ﷺ:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ...﴾ [التوبة: ٤٣].

كلمة (عفا) تدل على أن هناك أثراً قد مُحي، تماماً كما يمشي إنسان في الرمال، فتحدث أقدامه أثراً، ثم تأتي الريح فتملأ مناطق هذا الأثر بالرمال وتزيله.

وهي تُطلق في الدين على محو الله سبحانه وتعالى لذنوب عباده، فلا يعاقبهم عليها.

وما دام الإنسان قد استغفر من ذنبه، وقال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، فلا يجب أن يخرجه أحد بعد ذلك، ولا أن يعايره أحد، فقد استغفر عند مَنْ يملك الملك كله.

وهو وحده سبحانه الذي يملك العفو والمغفرة، فلا يُدْخِلُنَّ أَحَدَكُمْ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، ولا يجب أن يخرج إنسان مذنباً ما دام قد استغفر من يملك العفو.

ومن يسمع من يستغفر عليه أن يقول: عفا الله عنك. ولا أحد يعرف إن كان الله قد عفا عنه أم لا، فَلْتُعِنِّهِ بالدعاء له.

ومن يعاير مذنباً نقول له: تأدب، لأنه لم يرتكب الذنب عندك، ولكنه ارتكبه عند ربه.

وإذا كان من يستغفر من ذنبه لا يُخْرِجُ به بين الناس، فما بالنا بعفو الله سبحانه، القادر وحده على العفو.

فهذا شأن الرب العفو الغفور، القائل سبحانه:

﴿وَمَنْ يَعْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ...﴾ [آل عمران: ١٣٥].

إن الحق سبحانه وتعالى خلق خلقه، ويعلم أن الأغيار تأتي في خواطرهم وفي نفوسهم، وأن شهواتهم قد تستيقظ في بعض الأوقات، فتنفلت إلى بعض الذنوب.

ولأنه رب رحيم بيّن لنا ما يمحّص كل هذه الغفلة، فإذا أذنب العبد ذنباً أربه الرحيم يتركه هكذا للذنب؟

لا، إنه سبحانه شرع له العودة إليه، لأن الله يحب أن يتوب عبده ويرجع إليه، وإن غفل بمعصيته.

والله يحب التوبة من عباده، وهو سبحانه أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم وقع على بعيه^(١)، وقد أضله في فلاة^(٢)، لأن المعصية عندما تأخذ الإنسان من منهج الله لتعطيه نفعاً عاجلاً، فإن حلاوة الإيمان - إن كان مؤمناً صحيح الإيمان - ستجذبه مرة أخرى إلى الإيمان بعيداً عن المعاصي.

ولذلك قيل: إن انتفعت بالتوبة وندمت على ما فعلت، فإن الله لا يغفر لك ذنوبك فقط، ولكن يُبدل سيئاتك حسنات.

وكان من دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام:

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا

(١) أخرج مسلم في صحيحه (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله، لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أقبل إلي يمشي أقبلت إليه أهول».

(٢) الفلاة: القفر من الأرض. لأنها فليت عن كل خير، أي: فطمت وعزلت. وقيل: هي التي لا ماء فيها. وقيل: هي الصحراء الواسعة. قال ابن شميل: الفلاة التي لا ماء بها ولا أنيس (لسان العرب - مادة: فلو).

وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ [البقرة: ١٢٨].

وقولهما: ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾.

ليس ضرورياً أن نفهم قولهما هذا على أنها توبة عن المعصية، وأن إبراهيم وإسماعيل وقعا في المعصية فيريدان التوبة إلى الله، وإنما لأنهما علما أن مَنْ سيأتي بعدهما سيقع في الذنب فطلبا التوبة لذريتهما.

والحق سبحانه يُطمئن العبد يرفع يديه داعياً الله أن يتوب عليه، بأنه كما قال ﷺ:

«إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» (٢).

والحق سبحانه يده مبسوطة بالتوبة في كل زمان، وفي كل مكان، وليس كمثله شيء، فالله تعالى معك ومع غيرك، باسطاً لك ولغيرك يده.

(١) التُّسْكُ والتُّسْكُ: العبادة والطاعة وكل ما تقرب به إلى الله تعالى. والمناسك: المتعبدات. والنسك والنسيكة: الذبيحة. [لسان العرب - مادة: نسك].

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩٥/٤، ٤٠٤)، ومسلم في صحيحه (٢٧٥٩) عن أبي موسى الأشعري.

فاحرص دائماً على أن تتناول من يد ربك المدد الذي لا ينتهي .

والليل قد ينتهي عند إنسان، ويبدأ عند إنسان آخر، وهكذا النهار، فالليل مستمر دائماً، والنهار مستمر دائماً، فيداه سبحانه مبسوطان دائماً، ولا تنقبضان أبداً.

والحق سبحانه يُعلِّمنا أن الإنسان يدعو بالخير لنفسه، وأنت لا تستطيع أن تحدد هذا الخير، لأنك قد تنظر إلى شيء على أنه الخير وهو شر، وما دمت تدعو فأنت تظن أن ذلك هو الخير .

إذن: فملحظية الأصل في الدعاء هي أنك تحب الخير، ولكنك قد تخطئ الطريق إلى فهم الخير أو الوسيلة إلى الخير .

أنت تحب الخير لا جدال؛ لذلك تكون إجابة ربك إلى دعائك هي أن يمنع إجابة دعوتك، إن كانت لا تصادف الخير بالنسبة لك .

ولذلك يجب ألا تفهم أنك حين لا تُجاب دعوتك كما رجوتَ وطلبت أن الله لم يستجب لك، فتقول: لماذا لم يستجب الله لي؟

لا، لقد استجاب لك، ولكنه نحى عنك حمق الدعوة،

أو ما تجهل بأنه شر لك، فالذي تدعوه حكيم، فيقول: أنا سأعطيك الخير، والخير الذي أعلمه أنا فوق الخير الذي تعلمه أنت، ولذلك فمن الخير لك ألا تُجاب إلى هذه الدعوة^(١).

يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾
[الإسراء: ١١].

فإذا دعوت في حال انفعال غضبيّ على نفسك أو على من تحب، فمن مصلحتك أن لا يستجيب الله لدعائك، وما دمت عرفت الحكمة في هذا، فإذا دعوت بخير، وآخر الله لك الإجابة، أو لم يستجب لك. فاعلم أن هذا الذي تظنه خيراً فيه شر، فمنعه الله

(١) عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال «ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها مآثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه إحدى ثلاث: إما أن يستجيب له دعوته، أو يصرف عنه من السوء مثلها، أو يدخر له من الأجر مثلها». قالوا: يا رسول الله. إذا نكث. قال: «الله أكثر» أخرجه الحاكم في مستدركه (٤٩٣/١) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد إلا أن الشيخين لم يخرجاه عن علي بن علي الرفاعي» وأقره الذهبي في التلخيص.

عنك، لأن الإنسان دائماً يستعجل، ويريد أن يحوز كل شيء.

إذن: فحظك في الدعاء لا أن تُجاب، ولكن حظك فيه أن تظهر ضراعة عبوديتك لعِزة ربك.

فمن يقول: لقد دعوت ربي فلم يستجب لي.

نقول له: لا تكن قليل الفطنة، فمن الخير لك أنك لا تجاب إلى ما طلبت، فالله يعطيك الخير في الوقت الذي يريده.

ولذلك إياك أن تدعو وفي بالك أن تقضي حاجتك بالدعاء.

عليك بالدعاء فقط لقصد إظهار الضراعة والذلة والخشوع، ولأنك لو لم تدع فستسير أمورك كما قُدِّر لها. وإياك أن تفهم أنك تدعو الله ليحقق لك مطالبك، لأنه سبحانه مُنَزَّه أن يكون موظفاً عندك، وهناك نظام وضعه سبحانه لتحقيق مطالب العباد.

والإنسان قد يتعلق قلبه بأمني قد تضره، لذلك نقول: لا تتعجل بالدعاء طلباً لأمنيات قد تكون شراً عليك، والحق العليم ينظم لنا أمورنا.

وإياك أيضاً أن تيأس حين لا تجاب دعوتك التي في

بالك، لأن الله يحقق الخير لعباده، ولو حقق لك بعضاً مما تدعو فقد يأتي منها الشر.

إذن: اجعل حظك من الدعاء هو الخشوع والتذلل والضراعة له سبحانه، لا إجابتك إلى ما تدعو إليه، إنك دعوت لتطلب الخير، فدع الحق سبحانه بقيوميته وعلمه يحقق لك الخير.

لقد صان الحق سبحانه عباده بوضع رقابة على الدعاء، وأنت تعتقد أن دعائك بخير، ولكن رقابة الحق سبحانه التي تعلم كل شيء أزلاً تكاد أن تقول لك: لا، ليس خيراً.

وانتظر الخير بعدم استجابة دعائك.

والحق سبحانه هو القائل:

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) [البقر: ٢١٦].

إذن: فمعرفتك ليست نهائية في تقرير الخير والشر، لذلك دع الإله الأعلى - وهو المأمون عليك - أن يستجيب

(١) عسى: طمع وإشفاق. وحكى الأزهري عن الليث: عسى تجري مجرى لعل. وعسى في القرآن من الله جل ثناؤه، واجب، وهو من العباد ظن. [لسان العرب - مادة: عسى].

أو لا يستجيب لما تدعوه، وأنت في ظنك أنه الخير .
فالمعرفة العليا هي التي تُفرِّق بين الخير والشر، وفي
المنع أحياناً عَيْنُ العطاء .

فقد تلح في دعاء لو استجيب لك لكان شراً، واللَّهِ
سبحانه يعلم ما هو خير لك، وهو سبحانه يحب أحياناً
بعض خلقه في أشياء كان الإنسان منهم يتمنى أن توجد،
ثم يكتشف الإنسان أنها لم تكن خيراً .

وأحياناً يأتي لك بأشياء كنت تظن أنها شر لك، فتجد
فيها الخير، وهكذا يُصحِّح لك الحق سبحانه بحكمته
تصرفاتك الاختيارية .

والحق سبحانه يعالج قضية الدعاء بالخير أو الدعاء
بالشر، لأن الإنسان قد يضيق ذرعاً^(١) بأمر تحيط بذاته أو
بالمحيط به، فإذا ضاق ذرعاً بأمور تحيط به في ذاته من
ألم كمرض مثلاً، أو عاهة لا يقوى على الصبر عليها، أو
لا يقوى على تحملها، فيقول:
« يا رب، أرحني يا رب » .

(١) الذرع: الطاقة. ضاق بالأمر ذرعه وذراعه: أي ضعفت طاقته،
ولم يجد من المكروه مخلصاً، ولم يُطقه. [لسان العرب
- مادة: ذرع].

وهو هنا يدعو على نفسه بالموت، فلو أن الله سبحانه استجاب دعاءه لقضيت المسألة.

ولكن الله هو الحكيم العزيز، لا يَأْتَمِرُ بأمر أحد من خلقه، ولا يعجل كعجلة العباد، وكما يؤجل لك استجابته لدعوة الخير منك، فهو يؤجل أيضاً إجابتك لدعوة الشر منك على نفسك، وفي ذلك رحمة منه سبحانه.

وإذا كنت تقول: أنا أدعو بالخير، والله سبحانه وتعالى لا يعطيني فخذ مقابلها؛ أنك تدعو بالشر على نفسك، ولا يجيبك الله. ثم ألا يضيق الأب أحياناً ذرعاً بمن حوله، فيقول: فليأخذني الله، لأستريح من وجوهكم؟

هَبْ أَنْ اللَّهَ سبحانه وتعالى أجابه إلى هذه الدعوة، فماذا يكون الموقف؟

وقد تجد من يقول: يا رب أصبني بالعمى فلا أراهم.

أو تدعو المرأة على نفسها أو على أولادها.

وأنتم تحبون أن يجيب الله تعالى دعاءكم، فلو كان يجيبكم على دعاء الشر لانتهدت حياتكم إلى الفزع.

إذن: قد يضيق الإنسان ذرعاً بنفسه، أو يضيق ذرعاً بمن حوله، فيدعو على نفسه بالشر، وحين يدعو الإنسان فيجب عليه أن ينزه الحق سبحانه وتعالى عن أن ينفذ ما

يدعو العبد به دون أن يمر الدعاء على حكمته سبحانه وتعالى .

فكما قبلتم أن يؤجل الله تعالى دعاء الشر على أنفسكم ، فاقبلوا منه تأجيل دعائكم بالخير ؛ لأن الخير الذي تطلبونه غير الخير فيما يعلم الله ، فهو العليم الخبير .

وقد تطلب خيراً تعلمه ، ولكن الله يعلم فيه شراً ، فمن مصلحتك ألا يُجيبك .

وكما تحترم عدم إجابته لك في الشر على نفسك ، أو على من تحبه ، فاحترم عدم إجابته لك فيما تظنه خيراً لك ، أو لمن تحب ؛ لأن الله لا يعجل بعجلة عباده ؛ لأنه سبحانه هو الذي خلقهم ، وهو أعلم بهم ، فهو القائل :

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ^(١) [الأنبياء : ٣٧] .

(١) أي : ركب على العجلة فخلق عجولاً . أي : طبع الإنسان العجلة . فيستعجل كثيراً من الأشياء وإن كانت مضرّة . قال سعيد بن جبير والسدي : لما دخل الروح في عيني آدم عليه السلام نظر في ثمار الجنة ، فلما دخل جوفه اشتهى الطعام ، فوثب من قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة . [تفسير القرطبي ٤٤٦٥ / ٦] .

والدعاء هو الضراعة وإظهار الذلة والخشوع لله، لكي يستديم اليقين الإيماني.

والدعاء إنما يكون من عاجز يدعو قادراً على إنجاز تحقيق ما عجز عنه، أو يعينه عليه، وعندما تشعر أنك عاجز فأنت تتركن إلى من له مُطلق القدرة؛ لأن قدرتك محدودة.

إذن: فإذا كنت تطغى أو تتكبر، فاعرف مكانتك ومنزلتك جيداً، وتراجع عن ذلك؛ لأنك عرض زائل.

والدعاء هو تضرع وذلة وخشوع، وإقرار منك بأنك عاجز، وتطلب من ربك المدد والعون، واستحضار عجزك وقدرة ربك تمثل لك استدامة اليقين الإيماني.

وما جعل ربنا للناس حاجات إلا من أجل ذلك؛ لأن الإنسان إذا ما رأى الأشياء تنفعل له، ويبتكر ويخترع فقد يأخذه الغرور، فيأتي له بحاجة تعز وتعجز فيها الأسباب، فيقف ليدعو.

مَنْ كَانَ متكبِراً وَعِنْدَهُ صَلَفٌ ^(١) وَغَطْرَسَةٌ ^(٢) يَذْهَبُ إِلَى

(١) الصلف: مجاوزة القدر في الظُّرف والبراعة، والادعاء فوق ذلك تكبراً. [لسان العرب - مادة: صلف].

(٢) الغطرسة والتغطرس: الإعجاب بالشيء والتطاول على الأقران، =

رجل « غلبان » زاهد تجرد من الجاه والسلطان منقطع لعبادة الله، ويقول له: أستحلفك برسول الله أن تدعو لي لأنني في أزمة، والذي يسأل الغلبان الزاهد هو رجل عزيز في قومه، لكنه يظن أن الغلبان الزاهد أقرب إلى الله منه.

فالحق سبحانه وتعالى يطلب منا أن ندعوه، فيقول:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١)

[الأعراف: ٥٥].

وذلك لأنه سبحانه يعلم أننا سنواجه لحظات متعددة نعجز فيها عن أشياء، فبدلاً من أن تظل مقهوراً بصفة العجز عن الشيء اذكر أن لك رباً قوياً مقتدراً.

وساعة تذكر ذلك لن تأخذك الأسباب من حظيرة الإيمان.

وقلنا من قبل: من له أب لا يحمل همّاً للحياة، فإذا كان الذي له أب لا يحمل همّاً لمطلوبات الحياة، فمن له رب عليه أن يستحي، ويعرف أن ربه سيوفر له الخير.

= وقيل: هو الظلم والتكبر. [لسان العرب - مادة: غطرس].

(١) ضرع إليه يضرع ضراعة: خضع وذلل. تضرع: تذلل وتخضع، يدعونه مظهرين الضراعة وهي شدة الفقر والحاجة إلى الله عز وجل. [لسان العرب - مادة: ضرع].

وقد يجعل الحق سبحانه من تأبّي الأسباب وامتناعها عليك مغزىً لتلتفت إلى الله، لكن لفتتك إلى الله لا يصح أن تكون بغرض أن يقضي حاجتك، بل اجعل أساس لفتتك لله أن تظهر العجز أمامه، والخضوع والخشوع؛ ليعطيك ما لم يكن في بالك حين تدعوه.

وليكن دعاؤك دعاء مستوراً مختبئاً، خفية بينك وبين ربك، فلا تجهر بالدعاء وتجعله عملاً الوحيد؛ لأن النبي ﷺ علمنا حين كان في غزوة غزاها، فنزل أصحابه وادياً، فلما نزلوا الوادي صاحوا بالتهليل والتكبير، فقال ﷺ:

«أيها الناس، اربعوا^(١) على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً^(٢)».

والدعاء إلى الله خفية يبتعد بك عن الرياء، وهو أستر لك في مطلوباتك من ربك؛ لأنه حين يوضح لك: ادعني في شرك لأنني سميع عليم، أعلم كل ما ظهر منك وما بطن.

(١) اربعوا: أي أرفقوا ولا تجهدوا أنفسكم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٣٨٤)، وأحمد في مسنده (٤/٣٩٤، ٤٠٢، ٤١٨) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ادْعُ بالخضوع والخشوع والتذلل لتتكسر فيك شهوة الكبرياء، وشهوة الغطرسة، وشهوة الجبروت.
وإذا ما نظرت إلى هذا تجد أن كثيراً من العلماء يقولون:

نعرف قوماً يقرأون القرآن في محضرنا، وما عرفنا لشفاهم حركة، وعرفنا قوماً يستنبطون^(١) الأحكام من كلام الله، وما رأينا منهم انفعالاً يصرفهم عنا.

إذن: فالمسألة تعبر عن شغل باطني داخلي.
فالتضرع والخفية يقتضيان ألا أقلق الناس، أو أن أعلن الأمور التي أريدها لنفسي، خاصة بصوت عالٍ، مثل من يأتي في ختام الصلاة ويقول دعاءه بصوت عالٍ، وهو رافع يديه.

ولمثل هذا أقول:
إن الله سبحانه وتعالى جعل لنا القنوت لندعو فيه، وترك لكل مسلم أن يدعو بما يفعل له.

(١) استنبط واستنبط منه علماً وخبراً ومالاً: استخرجه. والاستنباط: الاستخراج. واستنبط الفقيه إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه. [لسان العرب - مادة: نبط].

وأنت حين تدعو في ختام الصلاة - مثلاً - قد يوجد مُصلُّ مسبوق لحق الصلاة بعد أن سبقه الإمام بركعة أو باثنتين أو بثلاث، ويريد أن يكمل صلاته.

وأنت حين ترفع صوتك بالدعاء حين تختتم صلاتك إنما تفسد عليه إتمام صلاته، وتشغله بمنطوق من عندك، وبكلام من عندك، عن شيء واجب عليه.

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ إِنَّمَا يَفْعَلُهُ عَنْ حَسَنِ نِيَّةٍ، لكنه يسيء إلى عبادة آخر.

والرسول ﷺ يدعونا إلى الطيب من الرزق لنكون مُجَابِي الدعوة.

فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال:

«أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين»، فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

«ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب. ومطعمه حرام، ومشربه

حرام، وملبسه حرام، وغُذِّي بالحرام. فأتى يُستجاب لذلك؟»^(١).

فالحرام لا يأتي منه خير مطلقاً، بل إنه ينقلب على صاحبه شراً ووبالاً، إن كان طعامك حراماً يدخل في تكوين خلاياك، ويصبح في جسدك الحرام، فإذا دخل الحرام إلى الجسد يميل فِعْلُكَ إلى الحرام. فالحرام يؤرق الجسد، ويسوقه إلى المعاصي.

فكيف يُستجاب له؟

وشيء آخر قد يحجب عنك الإجابة؛ لأنه إن أعطاك ما تحب فقد أعطاك في خير الدنيا الفانية، وهو يحبك، فيُبقِي لك الإجابة إلى خير الباقية.

وهذه ارتقاءات لا ينالها إلا الخاصة، وهناك ارتقاءات أخرى تتمثل في أنه ما دام الدعاء فيه ذلة وخضوع، فقد يطبق الله عليك ما جاء في الحديث القدسي:

«ينزل الله تعالى في السماء الدنيا، فيقول:

من يدعوني فأستجيب له، أو يسألني فأعطيه؟

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٢٨/٢) ومسلم في صحيحه (١٠١٥). والترمذي في سننه (٢٩٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

ثم يقول: مَنْ يُقْرِضْ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظَلُومٍ؟^(١).

ولأن الإنسان مرتبط بمسائل يحبها، فما دامت لم تأت فهو يقول دائماً: يا رب.

وهذا الدعاء يحب الله أن يسمعه من مثل هذا العبد، فيقول:

«إن من عبادي من أحب دعاءهم، فأنا أبتليهم ليقولوا: يا رب».

إن الإنسان المؤمن لا يجعل حظه من الدعاء أن يُجاب، إنما حظه من الدعاء ما قاله الحق:

﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧].

فمعنى الربوبية والمربوبية أن تقول دائماً: «يا رب».

والحق سبحانه وتعالى يضع شرطاً للاستجابة للدعاء، وهو أن يستجيب العبد لله سبحانه وتعالى فيما دعاه إليه، عندئذ سيكون العباد أهلاً للدعاء.

ولذلك قال سبحانه في الحديث القدسي:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

«من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين»^(١).

فالله سبحانه وتعالى يعرف ما في نفسك؛ ولذلك فإنه يعطيك دون أن تسأل، وهو سبحانه عطاؤه لا ينفد، وخزائنه لا تفرغ، فكلما سألته جل جلاله كان لديه المزيد.

ومهما سألته فإنه لا شيء عزيز على الله سبحانه وتعالى: إذا أراد أن يحققه لك.

ومثال ذلك: سيدنا إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، قال له جبريل: ألك حاجة؟

لم يَنْفَ أن له حاجة، فلا يوجد استكبار على البلوى، ولكنه قال لجبريل: أما إليك فلا.

صحيح أن له حاجة إنما ليست لجبريل؛ لأنه يعلم جيداً أن نجاته من النار المطبوعة على أن تحرق وقد أُلقي فيها، هي عملية ليست لخلق أن يتحكم فيها، ولكنها قدرة لا يملكها إلا من خلق النار.

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٩٢٦) من حديث أبي سعيد الخدري وقال: هذا حديث حسن غريب. وكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠٦/٥).

فقال لجبريل :

«أما إليك فلا ، وعلمه بحالي يُغني عن سؤالي»^(١) .

لذلك جاء الأمر من الحق :

﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء : ٦٩] .

فالحق سبحانه وتعالى يسمعك دون أن تتكلم ، فهو يعلم السر وأخفى .

والله تعالى جعل الدعاء الخفي أفضل الدعاء ؛ لأن الإنسان قد يريد أن يدعو ربه بشيء إن سمعه غيره ربما استنقصه ، فيجعل دعوته سرّاً بينه وبين ربه .

لأن الله تعالى يحب أن يستر على عبده حتى ولو كان عاصياً ، فالذي تستحي أن تقوله أمام غيرك قلّه لربك في سرّك دون أن يراك أحد .

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٦/٤٤٨٢) قال : «روى أبي بن كعب عن النبي ﷺ : «إن إبراهيم حين قيدوه ليلقوه في النار . قال : لا إله إلا أنت سبحانه رب العالمين ، لك الحمد ولك الملك ، لا شريك لك» قال : ثم رموا به في المنجنيق من مضرب شاسع فاستقبله جبريل . فقال : يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال : أما إليك فلا . فقال جبريل : فاسأل ربك . فقال : حسبي من سؤالي علمه بحالي» .

فالدعاء الخفيّ أفضل؛ لأن الإنسان يكون طليقاً في دعاء ربه، فلا يستحي أن يسأل ربه أي شيء لأنه ربه؛ ولأن الناس يفزعون ويحزنون حين يسألهم أحد، ولكن ربك حين تسأله يفرح.

والحق سبحانه وتعالى يقول:

﴿كَهَيْصَ * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكِرْتًا * إِذَا نَادَى رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ١ - ٣].

الحق سبحانه وتعالى يعرض هذه القضية في أن رحمة الله لعبده زكريا تتجلى في أن الله استجاب دعاء زكريا في أن يعطيه ولداً على كبر سنّه.

والنداء الذي ناداه زكريا طلب إقبال، ولكن إذا ناديت ربك، أيصح أن تقول: إنني أطلب إقبال ربي؟

هذا لا يصح، لأن ربك أقرب إليك من حبل الوريد، فلا يحتاج إلى نداء. فإذا أُطْلِقَتْ كلمة النداء بالنسبة لله تعالى، فالمراد بها الدعاء؛ لأن ربك قريب منك، ولا يحتاج إلى نداء.

ولذلك قال تعالى عن زكريا:

﴿إِذَا نَادَى رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣].

فإيّاك أن تظن أن الله يحتاج إلى رفع الصوت لكي

تسمعه، فالسر والجهر عند الحق سواء.

قال تعالى:

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّكُمْ عَلَيْكُمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣].

فالحق سبحانه سوى بين الجهر والسر في معلومه، فهو يعلم السر كما يعلم الجهر.

فذكر يا دعا ربه دعاء خفياً، حتى لا يسمعه أبناء عمومته ومواليه^(١)، فيغضبوا منه، فهو لم يأمنهم على حمل منهجه من بعده؛ لأن ظاهر حركتهم في الحياة غير متسق مع المنهج، فهم غير مأمونين، وإذا كانوا غير مأمونين على أنفسهم فهُمْ غير مأمونين على الناس.

فإذا دعا وقال: يا رب أعطني ولداً يرثني ويرث النبوة، فسيغضب هؤلاء الموالى ويقولون: إنه لا يأمننا ويعادونه، فجعل الدعاء خفياً حتى لا يشعر به أحد.

ونداء زكريا كان هو قوله:

﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِ وَكَانَتْ أَمْرًا قَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ

(١) قال القرطبي في تفسيره (٦/٤٢٤٨): «الموالى هنا: الأقارب وبنو العم والعصبة الذين يلونه في النسب».

يَعْقُوبُ وَجَعَلَهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿١﴾ ﴿٢﴾ [مريم: ٤ - ٦].

وأنت في الدعاء إما أن تقول: يا الله. أو تقول: يا رب.

وأنت حين تقول: «يا رب» فهذا أمر يتعلق ببنية حياتك حتى ولو المعطاة للكافر؛ لأنه تعالى رب يعطي الكافر ويعطي المؤمن.

لكنك تقول: «يا الله» في أمور العبادة.

فهنا قال: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤].

لأن الكلام في صلاح بنيته، لينجب، وهذا أمر من أمور ربوبية الله لخلقه، وإن كانت العلة إلهية؛ لأنه يريد أن يحمل منهج الله من بعده.



(١) وهن: ضعف. قال القرطبي في تفسيره (٦/٤٢٤٧): «قال أبو زيد: إنما ذكر العظم لأنه عامود البدن، وبه قوامه، وهو أصل بنائه، فإذا وهن تداعى وتساقط سائر قوته، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن منه».

(٢) اشتعال الرأس شيباً: انتشار الشيب في الرأس. والشيب: مخالطة الشعر الأبيض الأسود. (تفسير القرطبي ٦/٤٢٤٧).

دعاء الشيخ الشعراوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ،
وَرَحْمَةِ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ . . .

يَا رَبِّ نَسْأَلُكَ بِمَا سَأَلَكَ بِهِ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَنْ تَقْسِمَ
لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ .

وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَقْسِمَ لَنَا مِنْ رَحْمَتِكَ مَا يُقَرِّبُنَا مِنْ
طَاعَتِكَ .

وَنَسْأَلُكَ يَا رَبِّ أَنْ تَرْزُقَنَا مِنَ الْيَقِينِ مَا يُهَوِّنُ عَلَيْنَا
مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَأَحْدَاثَهَا .

وَنَسْأَلُكَ يَا رَبِّ أَلَّا تَجْعَلَ هَمَّنَا دُنْيَانَا، وَأَلَّا تَجْعَلَ دُنْيَانَا
مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَأَلَّا تَجْعَلَ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا
اسْتَبَشَرُوا، وَإِذَا أَسَؤُوا اسْتَغْفَرُوا .

اللَّهُمَّ أَعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ مَا تَعْلَمُ أَنَّهُ الْخَيْرُ، وَرَضْنَا بِهِ،
وَمَا عِلْمَتُهُ غَيْرَ ذَلِكَ فَتَكْرَمَ عَلَيْنَا بَأَلَّا تُجِيبَنَا إِلَيْهِ وَادْخِرْهُ
لَنَا، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ يَا رَبِّ عَلَى قَدْرِ مَا نَعْلَمُ، وَمَا أَقَلَّ مَا
نَعْلَمُ وَأَكْثَرَ مَا نَجْهَلُ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ،
وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عَيْنٍ لَا
تَدْمَعُ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ عَزَائِمَ رَحْمَتِكَ .

اللَّهُمَّ أُمْتِعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا وَاجْعَلْهَا الْوَارِثَ
مِنَّا .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا وَانصُرْنَا عَلَى
أَعْدَائِنَا . . .

اللَّهُمَّ إِنَّ قُلُوبَنَا وَجَوَارِحَنَا لَا نَمْلِكُ شَيْئاً مِنْهَا، فَهِيَ لَكَ
وَحْدَكَ، فَحَيْثُ جَعَلْتَهَا لَكَ وَحْدَكَ، فَكُنْ أَنْتَ يَا رَبِّ
وَلِيِّهَا، وَلَا تُحَرِّكْ قُلُوبَنَا إِلَّا بِحَبِّكَ، وَلَا تَعْمَلْ جَوَارِحُنَا إِلَّا
فِي طَاعَتِكَ، بِحَيْثُ يَكُونُ كُلُّ أَمْرٍ مِنْكَ مُمَثَّلًا، وَيَكُونُ كُلُّ
نَهْيٍ مُجْتَنَبًا . . .

يَا رَبِّ يَا رَبِّ، نَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ الْمَلِكُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَمَا تَشَاءُ مِنْ أَمْرٍ يَكُونُ.

يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ. وَمَا أَحْسَنَهَا مِنْ رَاحَةٍ حِينَ نَعْلَمُ أَنَّ لَنَا رَبًّا نَفْزَعُ إِلَيْهِ، مُجَرِّدِ النُّطْقِ بِهَا يُرِيحُنَا يَا رَبِّ... فَكَيْفَ بِالْعَطَاءِ بَعْدَهَا؟... يَا شَوْمَ مَنْ لَيْسَ لَهُ رَبٌّ يَسْتَنْجِدُ بِهِ... يَا بُؤْسَ مَنْ لَيْسَ لَهُ إِلَهٌ يَلْجَأُ إِلَيْهِ، كَيْفَ يَعِيشُ دُنْيَاهُ؟ وَكَيْفَ يَسْتَقْبِلُ مَصَائِبَ حَيَاتِهِ؟

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ، لِأَنَّكَ هَدَيْتَنَا إِلَى الْإِيمَانِ، وَنَحْمَدُكَ لِأَنَّكَ هَدَيْتَنَا إِلَى الْإِسْلَامِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا الَّذِينَ حَمَلُوا لَنَا دِينَكَ، وَلَمْ يُكَلِّفُونَا الضِّيَاعَ فِي مَتَاهَاتِ الْعَقَائِدِ... اللَّهُمَّ ارحمهم وارحم آبائهم وأُمَّهاتهم إلى أولهم في الإسلام.

اللَّهُمَّ كَمَا سَأَلْنَاكَ لِمَنْ مَضَى مِنَ الرَّحْمَةِ، فَنَسْأَلُكَ لِمَنْ بَقِيَ مِنَّا الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالْعَفَّةَ وَنَسْأَلُكَ لَهُ الْاِسْتِقَامَةَ عَلَى مَنْهَجِكَ...

اللَّهُمَّ اهْدِ حُكَّامَ الْمُسْلِمِينَ لِمَنْهَجِكَ... اللَّهُمَّ اهْدِ حُكَّامَ الْمُسْلِمِينَ لِمَنْهَجِكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْمَعَهُمْ عَلَى دِينِكَ، وَأَنْ تُوَحِّدَ صُفُوفَهُمْ تَحْتَ رَايَةِ قُرْآنِكَ وَمَنْهَجِ نَبِيِّكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ يَا رَبِّ أَنْ تَجْعَلَ هَؤُلَاءِ رُؤَادَ كَلِمَةِ يَقُولُونَهَا، وَهِيَ دُسْتُورُ الْحُكْمِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ الْقُرْآنَ . . .
اللَّهُمَّ أَلْهِمَّهُمْ هَذَا الْمَنْطِقَ . . . اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ إِنْ هُمْ فَعَلُوا . . . اللَّهُمَّ اهْدِهِمْ إِلَيْهِ . . . اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ لَهُمْ عَزْماً وَتَوْفِيقاً وَسَدَاداً .

يَا رَبِّ . . . يَا رَبِّ . . . نَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ الْمَلِكُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَمَا تَشَاءُ مِنْ أَمْرٍ يَكُونُ . . .

يَا رَبِّ . . . يَا رَبِّ . . . نَسْأَلُكَ لَهُمْ جَمِيعاً مَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَرِضْوَاناً، اللَّهُمَّ مَنْ وَصَلْتَهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ فَلَا تَحْرِمْهُ الْوَصْلَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ .

اللَّهُمَّ مَنْ حَالَتْ أَسْبَابُهُ وَعَوَائِقُهُ أَنْ يَقِفَ هَذَا الْمَوْقِفَ فَيَسِّرْ لَهُ وَسَهِّلْ أَمْرَهُ، وَزَلِّ أَمَامَهُ الْعَقَبَاتِ، لِيَنْعَمَ كُلُّ عَبِيدِكَ بِتِلْكَ الْفَرَحَةِ؛ لِيَنْعَمَ كُلُّ عَبِيدِكَ بِهَذَا الْجَمَالِ، لِيَنْعَمَ كُلُّ عَبِيدِكَ بِهَذَا الْجَلَالِ . . .

يَا رَبِّ يَا رَبِّ، نَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ الْمَلِكُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَمَا تَشَاءُ مِنْ أَمْرٍ يَكُونُ . . .

يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، نَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ الْمَلِكُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَمَا تَشَاءُ مِنْ أَمْرٍ يَكُونُ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ،
رَحْمَةَ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ، وَخَاتَمَ أَنْبِيَائِهِ الْمُرْسَلِينَ، وَسَلَامٌ عَلَى
إِخْوَانِهِ الْمُرْسَلِينَ جَمِيعاً...



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَرَحْمَةِ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ...

فَإِنَّكَ يَا رَبِّ كَمَا شَرَّفْتَنَا بِالْإِيمَانِ بِكَ، وَكَرَّمْتَنَا فِي
أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بِالصَّيَامِ لَكَ أَعْنًا عَلَى طَاعَتِكَ فِيهِ، وَاجْعَلْ
اللَّهُمَّ صَفَاءَ أَرْوَاحِنَا فِي اسْتِقْبَالِهِ وَسِيلَةً لِلْإِجَابَةِ فِي كُلِّ مَا
نَسْأَلُ مِمَّا عَلَّمْتَنَا أَنْ نَدْعُوكَ بِهِ فِي قَوْلِكَ فِي كِتَابِكَ
الكَرِيمِ.

رَبَّنَا رَبَّنَا رَبَّنَا، وَفِي كُلِّ مَنْ سَأَلَكَ بِهِ مَنْ اضْطَفَيْتَهُمْ
لِلرَّسَالَةِ مِنْ آدَمَ أَوَّلَ خَلِيفَةٍ لِلَّهِ إِلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ
رُسُلِ اللَّهِ...

وَأَوَّلُ دُعَائِي فِيهِ أَنْ أَوْفَّقَ أَنَا وَالْمُسْلِمُونَ جَمِيعاً بِأَنْ
نَقِيمَهُ عَلَى أَصْفَى مَا تَحِبُّ وَأَظْهَرَ مَا تَرِيدُ، وَأَنْ تَجْعَلَ
الطَّاقَةَ مِنْهُ عَوْنًا عَلَى كُلِّ حَرَكَتِنَا فِي الْحَيَاةِ حَتَّى يَكُونَ
صَفَاؤُنَا فِيهِ نُورٌ كُلِّ مَكَانٍ وَشُعَاعٌ كُلِّ زَمَانٍ، وَحَتَّى لَا
تَقْتَصِرَ بَرَكَتُهُ عَلَى رَمَضَانَ، بَلْ تَشِيعُ وَرَعًا فِي كُلِّ
الْأَحْيَانِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْخَاتَمِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ...

فَإِنِّي أَسْتَهِلُّ دُعَائِي بِمَا اسْتُهِلَّ بِهِ كِتَابُكَ الْكَرِيمُ:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ١
- ٧]... آمين.

اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا

على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا
صَنَعْتُ، أُبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأُبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاعْفِرْ
لي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ شَرَّعْتَ السُّؤَالَ رَاحَةً بَالٍ، وَإِلَّا فَمَاذَا نَسْأَلُ،
وَقَدْ أُعْطِينَا قَبْلَ أَنْ نَعْرِفَ كَيْفَ نَسْأَلُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَحْمَةً اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ،
وختام الأنبياء والمرسلين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ... الحمد لله الذي خلق
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وجعل الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ...

اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَأَنْتَ
رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ... مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ
يَكُنْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ... أَعْلَمُ
أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عِلْمًا...

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ

أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَدْعُوكَ ضِرَاعَةَ نِدَاءٍ، وَذُلَّ احْتِمَاءٍ، فَإِنَّا نَعْلُو
 بِمَا تَشَاءُ عَلَى مَا نَشَاءُ . . . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
 رَحْمَةً اللَّهُ لِلْعَالَمِينَ وَخَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ .



دعاء القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ... الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ...

اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أُمْتِكَ، نَاصِيَتِي
بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَائُكَ... أَسْأَلُكَ
بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ، أَوْ أُنْزِلَتْ فِي كِتَابِكَ،
أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ
عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ رِبْعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي،
وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ غَمِّي...

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَوَسَّلُ بِكَ إِلَيْكَ، وَأُقْسِمُ بِكَ عَلَيْكَ، فَكَمَا كُنْتُ
دَلِيلِي عَلَيْكَ، فَكُنِ اللَّهُمَّ شَفِيعِي لَدَيْكَ، فَإِنَّ حَسَنَاتِي مِنْكَ،
وَأَنَّ سَيِّئَاتِي مِنِّي، فَجِدِ اللَّهُمَّ بِمَا هُوَ مِنْكَ عَلَى مَا هُوَ مِنِّي.
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



دعاء الصباح والمساء

بِاسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا
رَسُولِ اللَّهِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ وَأَمْسَيْتُ أَشْهَدُكَ، وَأُشْهَدُ مَلَائِكَتَكَ
وَحَمَلَةَ عَرْشِكَ وَرُسُلَكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ،
وَحَدُّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، بَلَغَ
الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ وَكَشَفَ الْغُمَّةَ، فَآتِهِ
الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالدَّرَجَةَ الْعَالِيَةَ الرَّفِيعَةَ، وَابْعَثْهُ اللَّهُمَّ
المَقَامَ المَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ المِيعَادَ. . .

اللَّهُمَّ يَا مَالِكَ كُلِّ مَنْ مَلِكٌ، وَلِذَلِكَ تُؤْتِيهِ مَنْ تَشَاءُ،
وَتَنْزِعُهُ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَلَكَ مِنْ عَالَمِ الْمَلِكِ مَا لَا يُمْلِكُ، وَلَكَ
مِنْ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ مَا لَا تَطْلُعُ عَلَيْهِ إِلَّا عِبَادُ الرِّحْمَتِ،
وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



دعاء المغفرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ
وَرَحْمَةِ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ...

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ... رَبِّ آتِ
نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرَ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا
وَمَوْلَاهَا...

اللَّهُمَّ اغْنِنَا بِرَحْمَتِكَ عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ، واجعل
نِعْمَتَكَ عَلَيْنَا مُذَكَّرَةً بِكَ، وَمُعِينَةً عَلَى طَاعَتِكَ.

اللَّهُمَّ يَا رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، بِقُدْرَتِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ اغْفِرْ لَنَا
كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا تَسْأَلْنَا عَنْ شَيْءٍ... وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



دعاء الخير والشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ
وَرَحْمَةِ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ
الْمُؤْمِنِينَ...

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا
يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ
لَهَا...

اللَّهُمَّ يَا مُصَوِّبَ خَطَا الدُّعَاءِ بَأَلَّا تُجِيبَ، وَلِذَلِكَ تَحْمِي
مِنَ الضَّرِّ مَنْ يَدْعُو بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ.

سُبْحَانَكَ - وَلَا تُقَالُ إِلَّا لَكَ - حَذَرْتَنَا إِلَّا نَحْكُمَ
فِيمَا لَا نَعْلَمُ حَتَّى لَا نَحْكُمَ الْأَهْوَاءَ فِي تَرْزِينِ مَا نَشَاءُ،
وَحَسْبُنَا مِنْ قَوْلِكَ عَسَى أَنْ تُحِبُّوا، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا

مَا أَيَّدَهُ الْوَاقِعُ مِنْ شَرٍّ فِيمَا نَحِبُّ، وَمِنْ خَيْرٍ فِيمَا
نَكْرَهُ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.



دعاء الذات والأفعال

بِاسْمِ اللَّهِ وَالْحَمْدِ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا
رَسُولِ اللَّهِ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا حَيُّ صِفَةَ ذَاتِكَ، وَيَا مُحْيِي صِفَةَ
أَفْعَالِكَ، وَمَا بِالذَّاتِ لَا يَفُوتُ، وَمَا بِالْفِعْلِ يُحْيِي
وَيُمِيتُ . . . يَا مُصَوِّبَ خَطَا الدُّعَاءِ بَأَلَّا تُجِيبَ، وَبِهَذَا
حَمِيتُنَا مِنَ الضَّرِّ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ كَمْ يَدْعُو بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ
بِالْخَيْرِ .

سُبْحَانَكَ يَا رَبِّ - وَلَا تُقَالُ إِلَّا لَكَ - حَذَرْتَنَا إِلَّا نَحْكَمَ
فِيمَا لَا نَعْلَمُ حَتَّى لَا نُحْكَمَ الْأَهْوَاءَ فِي تَزْيِينِ مَا نَشَاءُ،
وَحَسْبُنَا مِنْ قَوْلِكَ عَسَى أَنْ تُحِبَّوْا، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوْا مَا
أَيْدُهُ الْوَاقِعُ مِنْ شَرٍّ فِيمَا نَحِبُّ، وَمِنْ خَيْرٍ فِيمَا نَكْرَهُ .

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .



دعاء الأنس بالله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَحْمَدُكَ رَبِّي وَأُسْتَعِينُكَ،
وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ مَا وَهَبْتَنَا مِمَّا نُحِبُّ مَعُونَةً
لَنَا عَلَى مَا تُحِبُّ، وَمَا زَوَيْتَ عَنَّا مِمَّا نَحِبُّ، فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا
لَنَا فِيمَا تُحِبُّ.

اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ أُنْسَنَا إِلَّا بِكَ، وَلَا حَاجَتَنَا إِلَّا إِلَيْكَ،
وَلَا رَغْبَتَنَا إِلَّا فِي ثَوَابِكَ وَالْجَنَّةِ . . .

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.



دعاء شكر النعمة

بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا
وَمَوْلَانَا رَسُولِ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَبْسُطَ لِسَانِي بِشُكْرِ النِّعْمَةِ مِنْكَ،
وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَقْبِضَ عَنِّي نَفْسِي تَلْصُصَ الْغَفْلَةَ عَنْكَ
- يَا مَالِكَ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ مَمْلُوكٌ، وَيَا أَوَّلَ لَا قَبْلَ آخِرٍ...
وَيَا آخِرَ لَا بَعْدَ أَوَّلٍ، فَذَاكَ فِي ذَاكَ، فَقِفْ أَيُّهَا الْعَقْلُ عِنْدَ
مُنْتَهَاكَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.



دعاء إتيان الملك

بِاسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا
رَسُولِ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَدْعُوكَ ضَرَاةَ نِدَاءٍ، وَذُلَّ احْتِمَاءٍ، لَأَنَّا نَعْلُو
بِمَا تَشَاءُ عَلَى مَا نَشَاءُ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ شَرَعْتَ السُّؤَالَ رَاحَةً بَالٍ، وَإِلَّا فَمَاذَا نَسْأَلُ
وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا قَبْلَ أَنْ نَعْرِفَ كَيْفَ نَسْأَلُ... يَا مَالِكًا كُلَّ مَنْ
مَلِكٌ، وَلِذَلِكَ تُؤْتِيهِ مَنْ تَشَاءُ، وَتَنْزِعُهُ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَلَكَ مِنْ
عَالَمِ الْمُلْكِ مَا لَا يَمْلِكُ، وَلَكَ مِنْ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ مَا لَا
تَطَّلِعُ عَلَيْهِ إِلَّا عِبَادُ الرَّحْمَتِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



دعاء ستر العيوب

بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا
رَسُولِ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا فِي سِتْرِكَ لِعُيُوبِنَا، وَفِي أَمْرِ عِبَادِكَ بِالسَّتْرِ عَلَيْنَا
بِشَارَةً بِالْمَغْفِرَةِ. فَمَا كُنْتَ لِتَسْتُرَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ لَتَقْضَحَ فِي
دَارِ الْبَقَاءِ، وَحَتَّى لَا نَزْهَدَ فِي حَسَنَاتٍ مَنْ نَعْرِفُ لَهُ سَيِّئَةً،
وَحَسْبُنَا جَزَاءٌ عَلَى سِتْرِ عُيُوبِ سِوَانَا أَنْ تَسْتُرَ غَيْرَنَا عَنْ
عُيُوبِنَا.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ.



دعاء أخذ الكافرين

بِاسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا
رَسُولِ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْلَمُ أَنِّي لِمَمَّنْ عَصَاكَ . . .

اللَّهُمَّ إِنَّ بَعْضَ خَلْقِكَ قَدْ غَرَّهُمْ حِلْمُكَ، وَاسْتَبْطَأُوا
آخِرَتَكَ، فَلَمْ يَتَّبِعُوا الْقُرْآنَ، وَسَخَرُوا مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ،
فَأَسْأَلُكَ إِلَّا تُمْهَلَهُمْ، حَتَّى لَا يَكُونُوا أُسْوَةً لِكُفْرِ غَيْرِهِمْ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى كُلِّ قَضَائِكَ، وَجَمِيعِ قَدْرِكَ مِنْ
الرِّضَا بِحُكْمِ الْيَقِينِ بِحُكْمَتِكَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ.



دعاء أولي العزم

بِاسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا
رَسُولِ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ أَوْلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ،
فَأَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

[الأعراف: ٢٣].

وَأَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ قَالَ:

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

وندعوك بما دعاك به إبراهيم عليه السلام، حينما قال:

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءً﴾

[إبراهيم: ٤٠].

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ

أَجْمَعِينَ.

دعاء يوسف ، موسى ، سليمان

بِسْمِ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا
رَسُولِ اللَّهِ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّقْ
بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] .

أَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ :

﴿ رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي *
يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ [طه : ٢٥ - ٢٨] .

أَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حِينَ قَالَ :

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَلَدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل : ١٩] .

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

دعاء العجز عن إدراك الله

بِاسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، أَحْمَدُكَ رَبِّي وَأَسْتَغِيثُكَ،
وَأُصَلِّي وَأَسَلِّمُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا وَاجِبَ الْوُجُودِ، وَبِكَ كُلُّ مَوْجُودٍ، لَا تُدْرِكُكَ
الْأَبْصَارُ لِكَمَالِ ذَاتِكَ، وَتُدْرِكُ أَنْتَ الْأَبْصَارَ لِإِحَاطَةِ
صِفَاتِكَ، فَإِذَا كَانَتْ الرُّوحُ الَّتِي تَحْيَا بِهَا النَفْسُ لَا يُدْرِكُهَا
أَيُّ حَيٍّ، فَكَيْفَ نُدْرِكُ مَنْ خَلَقَ، وَقَدْ عَجَزْنَا عَنْ إِدْرَاكِ مَا
خَلَقَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



دعاء الجنة

بِسْمِ اللَّهِ، أَحْمَدُهُ وَأُسْتَعِينُهُ وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى خَيْرِ
خَلْقِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا مُقَيِّتَ لِمَادَتِنَا بِالْغَدَاءِ، وَيَا مُقَيِّتَ قِيَمِنَا بِمَا
شَرَعْتَ مِنْ إِسْلَامٍ وَأَحْكَامٍ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُعِينَنَا وَتُقَيِّتَنَا فِي دَارِ
الْبَقَاءِ بِمَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى
قَلْبِ بَشَرٍ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.



دعاء الجامع المانع

بِاسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا
رَسُولِ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ الْجَامِعُ الْمَانِعُ، جَمَعْتَ لِدَاثِكَ مَا لَا يُحْصَى
مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَمَنْعْتَ بِسُبْحَانِيَّتِكَ أَنْ يُشَبَّهَكَ أَيُّ
مَثَالٍ، وَجَمَعْتَ لِكُلِّ خَلْقِكَ كُلَّ خَيْرٍ، وَمَنْعْتَ مَنْ أَطَاعَكَ
مَنْ تَسَلَّلَ أَيُّ شَرٍّ.

فَاعْطِنَا اللَّهُمَّ خَيْرَ جَامِعِيَّتِكَ، وَحَصِّنَّا اللَّهُمَّ
بِمَانِعِيَّتِكَ . . .

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



دعاء الفضل والإحسان

بِاسْمِ اللَّهِ، أَحْمَدُهُ وَأُسْتَعِينُهُ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى خَيْرِ
خَلْقِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ.

اللَّهُمَّ يَا حَسِيبُ، وَكَفَى بِكَ حَسِيبًا...

اللَّهُمَّ يَا رَقِيبُ، وَكَفَى بِكَ رَقِيبًا...

لَا يَعْزُبُ عَنْكَ أَصْغَرُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ، وَلَا يُعْجِزُكَ شَيْءٌ لِإِحَاطَةِ قُدْرَتِكَ، فَعَامِلُنَا اللَّهُمَّ
بِالْفَضْلِ لَا بِالْعَدْلِ، وَالْإِحْسَانِ لَا بِالْمِيزَانِ، وَحَسْبُنَا مِنْ
رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ مَا شَكَرْنَاهُ مِنْ نِعَمِ
رُبُّوبِيَّتِكَ، وَمَا أَطْعَمَنَاهُ مِنْ نِعْمَةِ أُلُوْهِيَّتِكَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.



دعاء الحياء والقناعة

بِاسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا
رَسُولِ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَخْلُو عَنْ نَظْرِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَارْزُقْنَا الْحَيَاءَ
مِنْ مَعْصِيَتِكَ، وَعَلِّمْنَا أَنَّ لَنَا رِزْقًا لَا يَتَجَاوَزُنَا وَقَدْ ضَمِنْتَهُ
لَنَا، فَقَنَّنَا بِهِ، وَاحْفَظْنَا مِنَ التَّلَصُّصِ لَهُ، وَعَلِّمْنَا أَنَّ عَلَيْنَا
دَيْنًا لَا يُؤَدِّيهِ عَنَّا غَيْرُنَا، فَاجْعَلْنَا فِي شُغْلٍ بِهِ، وَعَلِّمْنَا أَنَّ
لَنَا أَجَلًا يُبَادِرُنَا بَغْتَةً، فَأَعِنَّا رَبَّنَا بِطَاعَتِكَ، وَلَا تَتَخَلَّ عَنَّا
بِمُعُونَتِكَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.



دعاء الشفاء

بِاسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا
رَسُولِ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ الشَّفِيعُ الْأَعْلَى بَعْدَ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْذُنُ لَهُ
بِالشَّفَاعَةِ لِمَنْ ارْتَضَيْتَ، فَاشْفَعْ اللَّهُمَّ لَنَا بِصِفَاتِ جَمَالِكَ
يَا غَفَّارَ، عِنْدَ صِفَاتِ جَلَالِكَ يَا قَهَّارَ، فَإِنَّهُ لَا مَفْزَعَ مِنْكَ
إِلَّا إِلَيْكَ، لَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.



دعاء الإعانة

بِاسْمِ اللَّهِ، أَحْمَدُهُ وَأُسْتَعِينُهُ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى خَيْرِ
خَلْقِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ الْقَوِيُّ فَأَعِنَّا بِقُوَّتِكَ، لِنَأْخُذَ مَا آتَيْتَنَا مِنْ طَاقَةٍ
أَدَاءَ عِمَارَةٍ حَضَارَةٍ حَتَّى تَكُونَ لَنَا مَنَاعَةٌ مِنْ وَافِدَاتِ الْإِلْحَادِ
وَجَرَائِمِ الْفَسَادِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.



اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ
سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالدَّرَجَةَ الْعَالِيَةَ الرَّفِيعَةَ،
وَابْعَثْهُ اللَّهُمَّ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ.

أَحْمَدُكَ رَبِّي عَلَى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ بِكَ، وَشَرَفِ الْإِسْلَامِ
لَكَ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى خَاتَمِ رُسُلِكَ وَخَاتَمِ أَنْبِيَائِكَ
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَذِنِ الْخَيْرِ الَّتِي اسْتَقْبَلْتَ آخِرَ إِرْسَالِ السَّمَاءِ

لِهَدَى الْأَرْضِ، وَلِسَانَ الصَّدَقِ الَّذِي بَلَغَ عَنِ الْحَقِّ مُرَادَهُ
مِنَ الْخَلْقِ.

سُبْحَانَكَ تَفَضَّلْتَ بِالتَّكْلِيفِ، وَتَفَضَّلْتَ بِالْمَعُونَةِ، فَأَنْتَ
الْمُتَفَضِّلُ أَوَّلًا، وَأَنْتَ الْمُتَفَضَّلُ آخِرًا.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



في رحاب الخشوع لله

معنى الخشوع

الخشوع هو الخضوع لمن ترى أنه فوقك بلا منازع، وهو الله سبحانه وتعالى، وهو الذي خلق ووهب وأوجد من العدم وقول الحق:

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾
[البقرة: ٤٥].

يلفتنا إلى أن مطلوب الإيمان شاق، ويحتاج إلى ضرورة الاستعانة بالصبر والصلاة، لأن المسألة ليست سهلة، بل تحتاج إلى جهد، فالصبر معناه حمل النفس على أمر صعب، وكل مؤمن يدخل منهج الإيمان محتاج إلى الاستعانة بالصبر، ليحمل نفسه على مشقة المنهج وتكاليفه وليمنع نفسه من الشهوات التي حرمها الله سبحانه وتعالى.

وقد فسر بعض العلماء الصبر بأنه الصيام وما يتبعه من مشاق، وسياق الآية كان يقتضي أن يقال: (وإنهما)،

ولكن قال الحق: (وإنها)، فهل المقصود الصبر أم الصلاة؟

ونقول: إنه عندما يأتي أمران منضمان إلى بعضهما فإن الأمور لا تستقيم إلا بهما كما جاء في قول الحق:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢].

ذلك لأن الله ورسوله يلتقيان على حق واحد وليس لكل منهما حق وقول الحق:

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

حيث إن التجارة واللهو في وقت الصلاة عمل واحد، وهو شغل المؤمنين عن العبادة والذكر.

والصبر والصلاة فيهما مشقة على النفس يبعدها عن نعيم الدنيا وزخرفها والصلاة تحارب استكبار النفس، لذا فلا يتم الصبر بلا صلاة ولا تتقن الصلاة إلا بالصبر.

والخشوع يجعل الإنسان يستحضر عظمة الحق سبحانه ومدى ضالة الإنسان أمام خالقه ذلك لأن الإنسان يعيش في عالم من الأغيار ولذا يجب أن يخشع الإنسان للذي لا يتغير. والذين يتغيرون بالأسباب نقول لهم: اخشعوا

لواهب الأسباب وخالقها، واعلموا أن الأيام دُولٌ، فقوي اليوم ضعيف الغد، ألم يقل الحق:

﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وعليه فالخشوع لا يكون إلا لله، والخاشع هو الطائع لله. الممتنع عن المحرمات الصابر على الأقدار المتيقن أن الأمر كله لله وحده وليس لأي قوة أخرى وهذا ما يؤكده قول الحق أيضاً:

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقد سئل الإمام علي رضي الله عنه عن حق الجار فقال: تعلمون أنك لا تؤذيه قالوا: نعم... قال: وأن تصبر على أذاه، وقول الحق ﴿مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ هنا أي يطلب منك الحق أن تواجه الحياة في معية الله. والأحداث، لا تملأ الناس بالفرح والهلع إلا ساعة الانفلات من حضانة ربهم والذي يعيش في معية ربه وحضانته لا يجرؤ عليه شيطان، لأن الشيطان بطبعه خناس ولا يستطيع أن يدخل مع الله في معركة، ولكنه

يدخل معاركه مع من يتعدون عن منهج الله من الناس .
 إذن لا بد أن نعشق الصبر ، لأنه يجعلنا دائماً في
 معية الله ، وإن هذه الآية لا تجعل الإنسان ييأس مهما لقي
 في حركة حياته من مشقة .

الصلاة أهم أركان الإسلام

لو نظرنا إلى أركان الإسلام الخمسة ، نجد أن المسلم
 قد يؤدي بعضها ولا يؤدي البعض الآخر .

إذن فهناك فرق بين أركان الإسلام وأركان المسلم ،
 فالمسلم الفقير الذي لا يجد الضروريات تسقط عنه
 الزكاة ، ويسقط عنه الحج ، والمسلم المريض مرضاً مزمناً
 يسقط عنه الصوم ، وإذا كان مريضاً وفقيراً سقط عنه الثلاثة
 أركان . ولم يبق له من الأركان إلا شهادة أن لا إله إلا الله
 وأن محمداً رسول الله ، وهذه يكفي أن يقولها في العمر
 مرة ، ويبقى ركن إقامة الصلاة وهذا الركن لا يسقط أبداً ،
 لا في الفقر ولا في الغنى ولا في الصحة ولا عند العجز .

لذا كانت الصلاة هي الفارقة بين المسلم وغير المسلم ،
 وهي عماد الدين وهي تتكرر في اليوم خمس مرات ،
 لإعلان دوام الولاء لله ومن ثم كانت الصلاة أهم أركان
 الإسلام ، ليس لهذا السبب سالف الذكر فقط ولكن لأن

الصلاة أيضاً تشمل كافة الأركان ولكن كيف هذا؟

إننا نعلم أن كل صلاة إنما تضم كل أركان الإسلام، ففي كل صلاة نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وكل صلاة فيها زكاة لأن الزكاة إخراج بعض المال للفقراء، والمال يأتي من العمل والعمل يحتاج لوقت والصلاة تأخذ بعض وقتك الذي يمكن أن تستخدمه في العمل، ليعطيك رزقاً تزكي به، فكأنك وأنت تصلي أعطيت بعض مالك لله تبارك وتعالى. فكأن الصلاة فيها زكاة الوقت.

ونأتي بعد ذلك للصوم وأنت في الصوم تمتنع عن شهوة البطن وشهوة الفرج لبعض الوقت، وكذلك في الصلاة، كما أنك لا تستطيع أن تأكل أثناء الصلاة، ولا أن تقترب من زوجتك ولذا أنت بالصلاة تكون في دائرة أوسع من الإمساك بالنسبة لشهوتي الفرج والبطن، لأنك ممنوع من الحركة وممنوع من الكلام.

فإذا جئنا إلى حج بيت الله الحرام، نقول: إنك ساعة تصلي لا بد أن تتجه إلى بيت الله الحرام وتتحرى القبلة، إذن: فكأن بيت الله الحرام الذي يقصده الحجاج يكون في بالك وفي ذكرك وأنت تتجه إليه في كل صلاة.

وعلى ذلك فقد جمعت الصلاة أركان الإسلام الخمسة

كلها، ولذلك قال رسول الله فيما يرويه سيدنا عمر رضي الله عنه: «إن الصلاة عماد الدين» ولذا فإن من أقامها فقد أقام الدين.

ومن عجائب ترتيب آيات القرآن أنك تجد أن الصلاة مقرونة دائماً بالزكاة لأن الزكاة بالمال والصلاة بالوقت، ونحن محتاجون إلى الوقت لنعمل فيه حتى نأتي بالمال الذي نزكي به.

ومن ثم كانت الصلاة هي أهم أركان الإسلام، التي تجمع كل أركان الإسلام لبعض المسلمين الذين تسقط عنهم بعض الأركان، لمرض أو فقر، ومن هنا تتجلى عظمة الصلاة.

الصلاة... والصلاة الوسطى

إن المحافظة على سائر الصلوات الخمس هو مقصود كل مؤمن، أما ما جاء في قول الحق:

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾
[البقرة: ٢٣٨].

فنفهم أن المقصود في هذه الآية هي الصلوات الخمس: فما المقصود بالصلاة الوسطى؟
ساعة يأتي خاص وعام مثل قوله تعالى:

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [نوح: ٢٨].

فكم مرة دخل الأب والأم هنا، مرة عند قول الحق ﴿ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ ﴾ والثانية في ﴿ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ﴾ والثالثة ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ إذن: إيجاد عام بعد خاص، يعني أن يدخل الخاص في العام فيتكرر الأمر بالنسبة للخاص تكراراً يناسب خصوصيته.

وقول الحق: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ تعطي ذلك المعنى فإذا سألنا: ما معنى: حافظوا؟ فالحفظ يقابله النسيان أو التضييع والاثنان يلتقيان، فالذي حفظ شيئاً ونسيه فقد ضيعه، وكلها معانٍ تلتقي في فقد الشيء، والحفظ معناه أن تضمن بقاء شيء كان عندك كحفظ القرآن، أو رزقت بمال فلا بد أن تحافظ عليه.

﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ معناه لا تضيعوها، خاصة لمن ذاق حلاوة التكليف بالقرب من الله، وأدى ذلك للتمسك بها والمحافظة عليها وهذا بالنسبة للصلوات الخمس.

أما قول الحق ﴿ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ ذكر للخاص بعد العام، فكأن الله أراد المحافظة على الخاص مرتين، مرة داخل دائرة العموم (الخمس)، ومرة أفرد لها الله بالخصوص وهي الصلاة الوسطى، وما الصلة؟

إن وسطى هي تأنيث (أوسط)، وهي أمر بين شيئين على الاعتدال أي أن الطرفين متساويان، ولا يتم ذلك إلا إذا كان عدد الصلوات وترّاً، لأن عدد الصلوات لو كانت زوجية لما عرفنا الوسطى فيها، ووسط الخمس أي التي يسبقها صلاتان ويعقبها صلاتان، أي يسبقها الأول والثاني ويعقبها الرابع والخامس.

فإن كان الاعتبار بفرضية الصلاة، فإن أول صلاة مفروضة هي صلاة الظهر، وبعدها العصر، فالمغرب فالعشاء، والفجر، وعليه تكون الوسطى بتشريع الصلاة هي المغرب وهو رأي يقول به الكثير من العلماء.

وإن أخذت الوسطى بحسب عدد الركعات، فهناك صلاة قوامها ركعتان كالفجر، وصلاة قوامها أربع ركعات كالظهر والعصر والعشاء، وصلاة من ثلاث ركعات كالمغرب، والوسط هنا يكون الصلاة الثلاثية وهي المغرب.

وإن أخذتها بالنسبة للنهار، فالصبح أول النهار والظهر بعده والمغرب والعشاء، فالوسطى هنا هي العصر.

وإن أخذتها على أنها الوسط بين الجهرية والسرية فيحتمل أن تكون هي الصبح أو المغرب لأن الصلوات السرية هي الظهر والعصر والجهرية هي المغرب والعشاء

والفجر، وبين العشاء والظهر تأتي صلاة الصبح، وبين العصر والعشاء تأتي صلاة المغرب.

وإن أخذتها لاجتماع ملائكة طرفي النهار، فتكون صلاة العصر والصبح، إذن فالوسط يأتي من الاعتبار الذي تُحسب به إذا كان عدداً أو تشريعاً أو عدد ركعات أو سرية أو جهرية أو حسب نزول الملائكة، وكل اعتبار من هؤلاء له حكم.

ولماذا أخفى الله ذكرها عنا؟ نقول: أخفاها ليعلمها غاية العلم، ولنعلم أن هناك فرقاً بين الشيء لذاته والشيء المبهم في سواه، ليكون كل شيء هو الشيء، فيؤدي ذلك إلى المحافظة على جميع الصلوات.

فإبهام الشيء إنما جاء لإشاعة بيانه، ولذلك أبهم الله ليلة القدر لنهتم بكل الليالي، وبدل من أن تكون ليلة قدر، تصبح ليالي قدر، وكذلك أبهمنا في الموت كي يعلمنا به غاية العلم.

ويريد الحق أن نقوم لكل صلاة ونحن قانتون، والقنوت في اللغة معناه المداومة على الشيء، حتى أثناء الحروب، كما أن الصلاة واجبة على الدوام حتى ولو كان الإنسان سائراً على قدميه أو راكباً.

صلاة الحرب والخوف

وقصر الصلاة بالكتاب الموقوت

لأهمية الصلاة نجد أن الحق يحذرنا من أن يشغلنا عنها أي شاغل، حتى ولو كانت الحرب، بل بالعكس ففي الحرب يكون أولى بالمسلم أن يلتحم بمنهج الله وكذلك عند السفر شرع الحق لنا قصر الصلوات :

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٠١].

والضرب في الأرض مقصود به: أن يمشي المؤمن في الأرض بصلابة وعزم وقوة، والقصر في الصلاة: هو اختزال الكمية العددية لركعاتها، وهو أن يؤدي المؤمن كلاً من صلاة الظهر والعصر والعشاء ركعتين، بدلاً من أربع ركعات، أما الصبح والمغرب فكلهما على حاله ركعتان وثلاث ركعات، وحكمة ذلك أن الصلاة وقت الحرب تقتضي ألا ينشغل المقاتلون عن العدو ولا يفرطوا أيضاً في صلاتهم.

فإذا شرع الله للخوف صلاة وللحرب صلاة، فمعنى هذا أن لا سبيل أبداً لأن ينسى العبد المؤمن إقامة الصلاة، وصلاة الحرب أو الخوف جاء بها القرآن، أما صلاة السفر

فقد جاءت بها السنة، وفيها يقصر المؤمن صلاته أيضاً، ولو رأى الكافرون المؤمنين مصفوفين جميعاً في الصلاة فقد يهجمون عليهم هجمة واحدة، ولذا شرع الله صلاة الخوف وقصر الصلاة.

ثم يأتي الخطاب في الآية التالية موجهاً للرسول ﷺ:

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْفُخَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ١٠٢].

هذا وقد صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف بهيئات متعددة، فكان يقسم الجيش إلى قسمين، قسم يصلي معه وقسم يرقب العدو، ويصلي بكل فرقة ركعتين.

أو يصلي بكل فرقة ركعة ثم يسلم بعد صلاة الفرقة الأولى الركعة الأولى تخرج، وتأتي الثانية، فيصلّي الركعة الثانية، وتنتهي الصلاة، ثم تكمل كل منهم الركعة الأخرى، ويكون الكل نال شرف الصلاة خلف النبي ﷺ،

وهناك كيفية ثالثة، وهي أن تبدأ الطائفة الأولى الصلاة مع النبي ﷺ بركعة، ثم يتوقف النبي ﷺ بعد الركعة، دون أن يسلم وتكمل الطائفة الأولى صلاة الركعة الثانية، وتخرج من الصلاة، ثم تأتي الطائفة الثانية لتصلي مع النبي ﷺ الركعة الثانية، ثم ينتظر النبي ﷺ إلى أن تأتي الطائفة الثانية، بالركعة الثانية ويسلم، فتنال الطائفة الأولى شرف بدء الصلاة مع الرسول ﷺ وتحظى الطائفة الثانية بشرف السلام معه ﷺ.

وهنا نسأل: هل هذه الصلاة مقصورة على عهد النبي ﷺ وخاصة به لأن الصلاة معه هي الشرف؟ إذن فكيف يصلي المقاتلون الخوف بعده؟

يقول العلماء: إذا كان القائمون بأمر القيادة خلفاء رسول الله ﷺ في الولاية، تقام صلاة الخوف كما جاءت في القرآن، ولكن إذا كان لكل جماعة إمام فلتصل كل جماعة صلاة القصر كاملة خلف الإمام ذلك لأن الإمام الأعلى قد صعد إلى الرفيق الأعلى.

إن الصلاة كانت كتاباً موقوتاً

إن المؤمن مطالب بالأداء وسوف يؤخر الصلاة عن وقتها، وأن يذكر الله قائماً وقاعداً وعلى جنبه وأن تكون

الصلاة دائماً في بؤرة شعوره لذا ينبهنا الحق سبحانه إلى ذلك؟

أي أن الصلاة لها وقت، ولا يصح أن يفهم الناس كما قد يفهم البعض أن صلاة الظهر مثلاً ممتدة إلى العصر، هذا صحيح إذا عاش الإنسان إلى العصر وصلى الظهر قبل العصر، لكن ماذا يحدث لو مات الإنسان ولم يُصلِّ الظهر؟

إذن فقد أثم العبد، ومن يضمن حياته حتى يؤدي الصلاة مؤجلة عن موعد أدائها؟!

وقد يقول قائل: ماذا لو جاء وقت الصلاة وأنا أقوم بعمل هام مثل إجراء جراحة مثلاً؟ نقول لمثل هؤلاء: أسألکم باللّٰه ماذا تصنعون أثناء هذا العمل الذي تتخيل أنك غير قادر على تركه إذا اضطرتكم الحاجة إلى قضاء الحاجة والذهاب إلى دورة المياه فماذا تصنعون؟!

ألا يوجد لكم مساعدون: إن اللّٰه لا يكل العبد شيئاً ليس في سعته إطلاقاً.

فإذا كان رئيس العمال، ولله المثل الأعلى، يقوم بتوزيع العمل على العمال بما يسع وقت كل عامل منهم فما بالنا بالرب الخالق، ولذا يقول الحق:

﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةَ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

فالصلاة رزق عبودي يحزر من أي خوف، وفضلها لا حدود له، لأن فارضها هو الخالق المربي، فكيف تبخل على نفسك أن تكون موصولاً بربك؟!!

فضل الصلوات وصلاة الجمعة

إن فرض الصلاة يُعد مكرمة لأمة محمد ﷺ، وإذا كانت كلمة الصلاة لغة تعني الدعاء، وهذا ما نبهنا إليه الحق في الحديث القدسي: (من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني، ومن توضأ ولم يُصلِّ فقد جفاني، ومن صلى ولم يدعني فقد جفاني، ومن دعاني ولم أجبه فقد جفوته، وأنا لا أجافي عبدي المؤمن).

ولذا نبهنا الرسول ﷺ أن اقرب ما يكون العبد إلى ربه

وهو ساجد، وإذا كان السجود مظهراً من مظاهر الذلة والخشوع والخضوع لله، بالسجود هذا تكون أقرب ما تكون إلى ربك، كما علمنا الرسول ﷺ، وهنا يقول طاهر أبو فاشا رحمه الله كلاماً طيباً:

يا إلهي شاقني هذا الوجود تلك دنياك فما بال الخلود
قدري بك في ذل السجود أنت إن ترضى كفاني مغنما
ولأهمية الصلاة، نجد أنها تبقى مع الإنسان إلى آخر رمق في حياته، وقد أخذت الصلاة أهميتها في التشريع، على قدر أهميتها في التكليف، وكل تكاليف الإسلام قد جاءت بواسطة الوحي إلا الصلاة، فقد جاءت بالتكليف المباشر بين محمد وربه عند سدرة المنتهى، فقد استدعى الحق رسوله ﷺ إليه ليعرض عليه الصلاة، وهذه اللفتة من ربنا تبارك وتعالى تعد تحية لأمة محمد ﷺ حيث شرعت الصلاة من مقام القرب قرب محمد من ربه.

لذلك جعل الله الصلاة المفروضة في القرب وسيلة لقرب أمة الرسول ﷺ جميعاً ولذا فهي الباقية.

ويحكي أن الإمام علياً - كرم الله وجهه ورضي الله عنه - سأل بعض الصحابة: أي آية في كتاب الله أرجى عندكم؟

فقال البعض :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وقال البعض :

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

وقال البعض :

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال البعض :

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ يَفْعَلْ لَهُمُ الرَّحْمَةُ إِنَّ اللَّهَ يُغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا لِلَّذِينَ كَانُوا يُشْرِكُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

فقال الإمام علي: كل ذلك حسن ولكن ليست هي.

وصمت القوم وأحجموا، فقال الإمام: ما بالكم يا معشر المسلمين لم سكتتم؟ فقالوا: لا شيء، وهكذا جعل الإمام القوم في شوق لمعرفة تلك الآية فاشرأبت أعناقهم، وأرهفوا السمع، فقال الإمام: لقد سمعت حبيبي

رسول الله ﷺ يقول: «أرجى آية في كتاب الله هي قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النِّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

يا علي إن أحدكم ليقوم من وضوئه فتساقط عن جوارحه ذنوبه فإذا أقبل على الله بوجهه وقلبه لا ينفتل (أي لا يلتفت) إلا وقد غفر الله له كل ذنوبه كيوم ولدته أمه، فإذا أحدث شيئاً بين الصلاتين فله ذلك، ثم عد الصلوات الخمس واحدة واحدة. فقال: بين الصبح والظهر، وبين الظهر والعصر، وبين العصر والمغرب، وبين المغرب والعشاء، وبين العشاء والفجر، ثم قال ﷺ: يا علي إنما الصلوات الخمس لأمتي كنهر جارٍ بباب أحدكم، أو لو كان على جسد واحد منكم درن ثم اغتسل في النهر، أيبقى على جسده شيء من الدرن؟ قال: فذلك والله الصلوات لأمتي».

ولذلك لو نظرنا إلى الأعمال لوجدنا كل عمل له مجاله في عمره إلا مجال الصلاة فمجالها كل عمر الإنسان. كما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما جاء في قول الحق:

﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِبْرَ الصَّلَاةِ

تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥].

صلاة الجمعة لاستدامة الولاء الجماعي

إن إقامة الصلوات الخمس إعلان بدوام الولاء الإيماني لله كل يوم خمس مرات، ولكن الله لم يلزم الإنسان بترك العمل إلزاماً واضحاً إلا في صلاة الجمعة، ليؤديها الإنسان مع الآخرين علانية ووضوحاً واجتماعاً ليرى الإنسان فضل وجوده في مجتمع إنساني متساو فقال الله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

لأن الله لا يريد استدامة الولاء الفردي فقط، وإنما يريد استدامة الولاء الجماعي. لأن الولاء الجماعي هو إعلان من كل إنسان بالعبودية لله أمام بقية مخلوقات الله.

وحينئذ ينقطع من البشرية مظهر استعلاء إنسان على إنسان... لأن الضعيف منا في الجاه أو المال أو النفوذ أو أي مظهر من مظاهر الحياة الخارجية، في هذه الصلاة يرى هذا الضعيف القوي عنه مساوياً له في سجوده لربه وهنا

يتلاشى مظهر التعالي بين البشر، لذا يلزمنا الله أن نعلن العبودية له جماعة كل أسبوع مرة وهو يوم الجمعة تذكيراً بعظمة الخالق الحق.

لأن الإنسان عرضة أن يغفل إذا مر عليه أسبوع، وهذه الغفلة قد تقوده إلى العلو أو الاستكبار من القوي إلى الضعيف، وهذه الغفلة قد تعكس انحدار الضعيف إلى مزيد من الضعف وتعكس انزلاق القوي إلى وهم أنه أكثر قوة.

لذا فصلاة الجمعة تذكير بعبودية الجميع قوي وضعيف، فيشعر الإنسان بالمساواة مع كل البشر. ثم يقود إلى قول الحق ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أي اتركوا البيع ولماذا لم يأت الحق بالشراء؟

ذلك لأن البيع دائماً يكون أهم أركان الصنعة التي تحقق الربح، أما في الشراء فإن الإنسان يعيش بالشراء موقفاً غير محبب إلى نفسه لأن فيه غُرمًا، بل إن المشتري قد يبحث عن سبب لكي لا يشتري، وكذلك لم يقل الحق لنا اتركوا الزراعة أو الصناعة لأن حصيله هذه الأشياء لا تظهر إلا بعد وقت طويل.

أما الصفقات التجارية فتظهر نتيجتها فوراً، لذا كان المنع من البيع، وهكذا نرى أن ترك البيع والسعي

لذكر الله من أجل هدف واضح هو تجديد الولاء الجماعي لله سبحانه وتعالى، يجعل كل فرد في المجتمع يحس بالعدل، فيحقق المجتمع الاستطراق أي مساواة أقدار الناس واحترام كل إنسان لنفسه وللمن حوله ويلغي التعالي أو الكبر أو استذلال القوي للضعيف، أو خنوع الضعيف أمام القوي، كلنا متساوون أمام القوي المتعال .

أليس من الاطمئنان أن يسرع الإنسان إلى الانتماء إلى نوعه الإنساني لحظة الصلاة .



فهرس المحتويات

٥	مقدمة
٩	العبودية ومَعِيَّةُ اللَّهِ
١٤	الصلاة لجوء إلى الله إذا ضاقت الأسباب
٢٢	هؤلاء هم المحسنون
٣٦	الليل آية من آيات الله
٥١	عباد الرحمن
٥٨	الصلاة الخاشعة
٦٨	الدعاء واحة العابدين
٩٤	دعاء الشيخ الشعراوي
١٠٢	دعاء القرآن الكريم
١٠٣	دعاء الصباح والمساء
١٠٤	دعاء المغفرة
١٠٥	دعاء الخير والشر
١٠٧	دعاء الذات والأفعال
١٠٨	دعاء الأنس بالله
١٠٩	دعاء شكر النعمة

- ١١٠ دعاء إتيان الملك
- ١١١ دعاء ستر العيوب
- ١١٢ دعاء أخذ الكافرين
- ١١٣ دعاء أولي العزم
- ١١٤ دعاء يوسف، موسى، سليمان
- ١١٥ دعاء العجز عن إدراك الله
- ١١٦ دعاء الجنة
- ١١٧ دعاء الجامع المانع
- ١١٨ دعاء الفضل والإحسان
- ١١٩ دعاء الحياء والقناعة
- ١٢٠ دعاء الشفاء
- ١٢١ دعاء الإعانة
- ١٢٣ في رحاب الخشوع لله
- ١٢٣ معنى الخشوع
- ١٢٦ الصلاة أهم أركان الإسلام
- ١٢٨ الصلاة . . . والصلاة الوسطى
- صلاة الحرب والخوف وقصر الصلاة
- ١٣٢ بالكتاب الموقوت
- ١٣٤ إن الصلاة كانت كتاباً موقوتاً
- ١٣٦ فضل الصلوات وصلاة الجمعة
- ١٤٠ صلاة الجمعة لاستدامة الولاء الجماعي